مجلة فصل الخطاب Journal of Faslo el-khitab
ISSN:1071-2335/ E-ISSN:2602-5922/ Legal Deposit N°: 2012-1759
مجلد 10، عدد رقم: 03، سبتمبر 2021، صص: 27- 66

تاريخ الاستلام(2021/05/31) تاريخ القبول (2021/07/08) تاريخ النشر (2021/09/30)

سورة القمر: مقاربة أسلوبية صوتية

Surat Al-Qamar (The Moon): a Phonetic Stylistic Approach

محمد حسن خلف [1]، بن عيسى بطاهر [2]

[1] جامعة الشارقة (الإمارات العربية المتحدة)، U00023234@sharjah.ac.ae

[2] جامعة الشارقة (الإمارات العربية المتحدة)، benissa@sharjah.ac.ae

ملخص:

هذا البحث دراسة تحليليّة لسورة القمر من الزاوية الصوتية، وتحديدا في الإيقاع الصوتي، وهو يهدف إبراز الجوانب الجماليّة المتعدّدة للظواهر الصوتية في السورة، وتجلية جماليّاتها، وإيقاع الجمل، وظاهرة تكرار بعض الألفاظ والجمل، وقصر الفواصل في أداء الدلالات المرادة، مع التركيز على دلالاتها وتأثيراتها في المعاني وبلاغة النص القرآني، وتتمحور الإشكاليّة التي تسعى هذه الدراسة إلى بلورتها ومعالجتها في تجلية النّظرة الأسلوبيّة الشاملة لمواضع الجمال في سورة القمر من الناحية الصوتية، وذلك من خلال تطبيق المنهج الأسلوبي في تحليل نصّ السورة من أوّلها إلى آخرها، والابتعاد عن الأحكام المسبقة والقوالب الجاهزة التي يعتمد عليها علم البلاغة القديم.

كلمات مفتاحيّة: إيقاع صوتي، الفاصلة. التكرار، التوازي، الحذف، المنهج الأسلوبي.

Summary:

This research is an analytical study of Surat Al-Qamar from the acoustic/ vocal angle, specifically in the vocal rhythm. It aims to highlight the multiple aesthetic aspects of the sound phenomena in the surah, the manifestation of its aesthetics, the rhythm of sentences, the phenomenon of repetition of some words and sentences, and shortening the breaks in performing the desired semantics, with a focus on their connotations and

المؤلف المرسل: بن عيسى بطاهر، الإيميل: benissa@sharjah.ac.ae

their effects on the meanings and eloquence/rhetoric of the Qur'anic text. The problematic/issue that this study seeks to crystallize and treat revolves around the manifestation of the comprehensive stylistic view of the topics/matter of aesthetic in Surat Al-Qamar from the acoustic viewpoint by applying the stylistic approach in analyzing the text of the surah from its beginning to its end, and moving away from the prejudices/preset judgments and ready-made templates on which the ancient rhetorical science depends.

Keywords: Acoustic rhythm, break, repetition, parallelism, deletion, stylistic approach

1. مقدمة:

إن خيرَ ما يتقربُ به الباحث إلى الله ـ عز وجل ـ في بحثه، هو التنقيبُ في أسرار القرآن الكريم، الذي لا تنضب عجائبُه، ولا تنتهي أسرارُه، وإن خيرَ تأملٍ، ذلك الذي يكون في كلام الله ـ تبارك وتعالى ـ الذي أعجز العرب الفصحاء، وأدهش مصاقعة البيان من البلغاء، ففي كلام الله ـ تبارك وتعالى ـ يطيب البحث، ويزداد الأجر، وكما كان «خبابُ بن الأرت ـ ﷺ ـ يقول: تقرب إلى الله ما استطعت، واعلم أنك لستَ تتقربُ إليه بشيءٍ هو أحبُ إليه من كلامه»(1).

وبعد بحثٍ عميقٍ في مكتبة الدّراسات اللغوية والبلاغيّة القرآنيّة، والتّنقيب في عناوين الرسائل الجامعيّة التي تناولت السور القرآنية، وجدنا أنّ سورة القمر بديعةٌ في ثوبها البياني، متميّزةٌ في نسيجها اللفظي، تتفرّدُ بكثير من الخصائص اللغوية والأسلوبيّة المُميّزة، وهي جديرة بأنْ تُفرَد ببحث مستقل يتناول معظم خصائصها اللغوية والبيانية بمنظار النظرية الأسلوبيّة الحديثة.

إشكالية الدراسة:

انطلاقا من هذا المفهوم للأسلوبيّة الحديثة، فإنّ هذا البحث يتعرّض لدراسة تحليليّة لسورة القمر من الزاوية الصوتية، وتحديدًا في الإيقاع الصوتي، والفواصل القرآنية، وهو ينظر إليها بمنظار النّظريّة الأسلوبيّة الحديثة رغبةً في إبراز الجوانب الجماليّة المتعدّدة للظواهر الصوتية في السورة، وتجلية جماليّاتها، وإيقاع الجمل، وظاهرة تكرار بعض الألفاظ والجمل، وقصر الفواصل في أداء الدلالات المرادة. ونتوخّى أن تُجيبَ هذه الدراسة على الأسئلة الآتية: ما أهم مظاهر الإيقاع ومكوناته ودلالاتها في النسيج اللفظي لسورة القمر؟ وهل للجانب الصّوتي مثل إيقاع الفواصل والتّكرار الواضح لبعض الجمل وانتقاء الألفاظ ذات الجرس الخاص تأثيرٌ في الدلالات والمعاني التي تزخر بها سورة القمر؟ .

منهجية الدراسة:

بُغيةَ إيضاح هذا الجانب المعرفيّ الدَّقيق، ودراسة الظواهر الصوتية في سورة القمر، سنتّبع كلّ الخطوات التي يُمليها عليّ المنهج الوصفيّ التحليليّ، أي: رصد هذه الظواهر البارزة، وتصنيفها، وتبويبها تحت عناوين وروابط تجمعها، ثمّ وصفها علميّا، وتحليلها ومقارنتها بأخواتها واستنباط ما يوحي به السياق أو الاستعمال في هذا الموضع أو ذاك للتّوصّل في نهاية البحث والدراسة إلى تفسيرات علميّة للظواهر المرصودة.

خطّة الدراسة:

ونظرًا للجوانب المتعدّدة للظواهر الصّوتية لهذه السّورة، ركزنا في هذا البحث على الجانب الإيقاعي والفواصل فقط، وقدّمنا له بمدخل تحدّثنا فيه عن التعريف بسورة (القمر) وبيان محورها العام، والموضوعات التي عالجتها، وقد خصّصنا المبحث الأوّل لدراسة الإيقاع العام لسورة القمر مع التوقّف عند أهمّ مظاهره المؤثّرة فيه، وخصّصنا المبحث الثاني لجانب الفواصل ودورها في تشكيل الإيقاع الخارجي لآيات السّورة، وختمنا هذا البحث بخاتمة لخّصت فيها أهمّ الظواهر الصّوتيّة التي لها أثرٌ فاعلٌ في الجانب الإيقاعي الذي تتميّزُ به سورة القمر، ثم شفعت البحث بذكر أهم المصادر والمراجع التي أفدت منها.

الدِّراسات السَّابقة:

التّوازي في سورة القمر لعبد المنعم عبد الله خلف حميد الدليمي، وهي دراسة تقع في 68 صفحة، تناول فيها الباحث قضيّة صوتيّة دقيقة في بابها وهي التّوازي، ويعني بها الصيغ التي يتحقّقُ من خلالها التّوازن الصّوتي مثل التوازي على مستوى الفاصلة، ومستوى الحرف، والتوازي اللفظي، والتّوازي التركيبي.

قراءة في سورة القمر لثناء نجاتي عياش، وهي دراسة تهدف إلى بيان بعض مواطن الجمال في سورة القمر من خلال تحليل بعض الفنون البلاغية مع ذكر الأمثلة من آيات السورة، والوقوف عند الجمال البلاغي للغرض الذي جاءت السورة تبيّنه وتثبّته في ذهن المتلقّي، والبحث يقع في 55 صفحة.

تكرار الآية في سورة القمر: دراسة تحليلية ستيلستيكية لمحمد إسراء الليل، وهو بحث تكميلي مقدّم في الجامعة الإسلامية الحكومية بمالانج سنة 2008، وكما هو ظاهر من

العنوان فالبحث في دراسة ظاهرة التّكرار في سورة القمر، ومركّز على تكرار الآية وفوائده الصوتية والدلاليّة.

التمهيد: بين يدي سورة القمر

(1) أسماؤها وفضلها: الأشهر أنها تسمى (القمر) كما تسمى سورة (اقتربت)، وكذا أسماها البخاري في كتاب تفسير القرآن، «وأخرج البيهقي، عن ابن عباس: أنها تُدعى في التوراة المبيضة، تبيض وجه صاحبها يوم تسود الوجوه. وقال: إنه منكر»(2)، «وكانت تسميتها بالقمر أشهر، لدلالته على الاقتراب المختتم به النجم، بالإشارة، لا بالعبارة، ولم تسم بالانشقاق، لأنه إذا أطلق، انصرف إلى الإثم، فكانت السماء به أحق»(3).

أما الآثار الواردة فيها، ففيها الصحيح، وفيها الضعيف وفيها الموضوع المتروك، أما الصحيح، فما رواه الترمذي أن «عمر بن الخطاب سأل أبا واقد الليثي: ما كان يقرأ به رسول الله في الأضحى والفطر؟ فقال: كان يقرأ فيهما بـ ق، والقرآن المجيد، واقتربت الساعة وانشق القمر»، وقال عنه هذا حديث حسن صحيح(4).

(2) مكان وأسباب نزولها: أخرج النحاس عن ابن عباس قال: نزلت سورة القمر، بمكة، وأخرج ابن الضريس، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل، عن ابن عباس قال: نزلت بمكة سورة (اقتربت الساعة) وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير، مثله(5). وحول سبب نزولها روى الترمذي عن أنس بن مالك قال: سأل أهل مكة النبي ـ ﷺ ـ آيةً، فانشق القمر بمكة، فنزلت، {**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ**}، إلى قوله {**سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌ**}.

(3) المحور العام للسورة، والموضوعات التي عالجتها.

إن القارئ المتدبر لسورة القمر من كتاب الله ـ تبارك وتعالى ـ يدرك أنّ لها محورًا عامًا يربطها ببعضها ببعض، منذ أول آية من آياتها، فلم يكن الحديث عن اقتراب الساعة وانشقاق القمر، إلا إنذارا ووعيدا للكافرين المكذبين الذين استكبروا وكذبوا، ولم تنفع معهم الآيات البينات التي جاءهم بها رسول الله محمد ـ ﷺ ـ، وإن أراهم آية واضحة، ورأوها رأي العين أعرضوا عنها وقالوا إن هي إلا سحر متواصل، {**وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌ**}[القمر:2]، لذا نرى أن «المحور الرئيس للسورة الذي تدور حوله، هو التذكير بالآيات والنذر، وبيان مصير المكذبين بها»(6).

المبحث الأوّل: الإيقاع الصّوتي في سورة القمر

وقبل الخوض في تحليل بعض ظواهر الإيقاع في سورة القمر، لا بدّ من الإشارة إلى أن سورة القمر إنما أنزلت .كما أوضحنا في الفصل السابق .لتكون سيفا بتّارا لكفر الكافرين، وشكوك المكذّبين. فإذا عرفنا هذا، فماذا ننتظر من الإيقاع العام للسّورة؟ أننتظرُ أن نقرأ آيات هادئات بألفاظ عِذاب ناعمات في أسلوب رقيق نديّ؟ أم إنّنا ننتظر أسلوبا عنيفا شديدا يأخذ بمجامع القلوب ويهزّها هزّا؟ أننتظر أن نقرأ كلمات وعبارات وأنساق تعبيرية، طابعها الهدوء والمط والتروي واللين؟ أم عبارات وأنساق تعبيرية تغلب عليها طابع السرعة والمفاجئة والتقليل من المد والمط واللين؟ ولا شكّ أنّنا ننتظر أن نسمع آيات شديدة الوقع، عنيفة الأسلوب، جزلة الألفاظ، سريعة الإيقاع، تقع في أسماع الكافرين المكذّبين كما تقع الصّواعق المزلزلة المدمّرة.

أولا: حذف الحرف ودوره في الإيقاع:

ونقصد به حذف الحرف الذي هو جزء أصيل في بنية الكلمة في ميزانها الصرفي، ولا يجدُ القارئ سببا صرفيّا أو نحويّا دعا إليه، وإنما جاء هذا الحذف ليسهم في تشكل الإيقاع الصوتي الذي يتماشى مع كل السورة، ولا شك أن هذا الحذف، له دلالاته المؤثرة على المعنى، قد تبقى سرا من أسرار لغة القرآن إلى أن يهتدي إليها من يوفقه الله.

وفي سورة القمر نجد الكثير من الكلمات التي حذف منها حرف الياء، سواء من الأسماء أو الأفعال، وقد فرق سيبويه (ت: 386هـ) وغيره، في مسألة حذف الياءات في أواخر الكلمات، بين الأسماء والأفعال؛ ففي الأسماء «أذهبوها في الوقف كما ذهبت في الوصل، ولم يريدوا أن تظهر في الوقف، كما يظهر ما يثبت في الوصل، فهذا الكلام الجيد الأكثر»(7)

وأمّا الأُفعال فلا يُحذف منها شيء، «لأنها لا تذهب في الوصل في حال، وذلك: لا أقضي، وهو يقضي، ويَغْزُو ويرمي. إلاّ أنهم قالوا: لا أدر، في الوقف، لأنّه كُثر في كلامهم، فهو شاذ»(8)، إلا أن سيبويه استدرك قبل أن يختم هذا الباب فقال: «وجميع ما لا يُحذف في الكلام وما يُختار فيه أن لا يُحذفَ، يُحذفُ في الفواصل والقوافي»(9). واستشهد في الفواصل بقول الله . تبارك وتعالى : {**وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ**} [الفجر:4]، {**مَا كُنَّا نَبْغِ**} [الكهف:64]، {**يَوْمَ التَّنَادِ**} [غافر:32]، {**الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ**} [الرعد:9]. وقريب من هذا قال الزجاج (ت: 311هـ) في معاني القرآن(10).

وعند التّدبّر في الألفاظ التي وقع فيها الحذفُ، نجد أنه في القرآن إنما يخدم محاور السورة، وثوبها اللفظي، والنسق العام الذي جاءت عليه، وهو نوع من الإعجاز الذي تفرد به القرآن الكريم، فإننا نرى، أن لا مسوغات نحوية ولا صرفية تستدعي حذف بعض حروف الكلمة، ولم يكن الحذف لمراعاة الفاصلة القرآنية فقط، كما قال بعض من المفسرين، حيث جاءت بعض الكلمات المحذوف منها الحرف، في وسط الآيات، بل إن بعضهم حينما لم يهتد إلى علة هذا الحذف، اكتفى بذكر أنه مما اختص به الرسم القرآني في المصحف(11)، ومن غريب ما قالوا في أمثال هذا الحذف الذي لا يأتي لعلة نحوية ولا صرفية، قول الفراء (ت: 207 هـ): «ذلك أنهم (كتاب الوحي) لا يكادون يستمرون فِي الكتاب على جهة واحدة، ألا ترى أنهم كتبوا {**فَما تُغْنِ النُّذُرُ**} بغير ياء، {**وَما تُغْنِي الْآياتُ وَالنُّذُرُ**} بالياء، وهو من سوء هجاء الأوّلين»(12). ومع جلالة قدر وعلم الفراء والطبري (ت: 310هـ) الذي قال قريبا مما قال الأول: «وحذف الياء في ذلك أعجب إلينا، ليوفق بين رؤوس الآي إذ كانت بالراء»(13)، إلا أننا نؤكد أن هذا الحذف إنما يخدم الدلالة والنسق العام للسورة بالدرجة الأولى، وهذا ما نسعى لتبيانه، وفق ما يصل إليه فهمنا وتدبرنا لكتاب الله، مستعينين بأقوال العلماء القدماء والمحدثين، ومما حذف منه الياء في سورة القمر:

المثال الأوّل: الفعل (تُغْنِ) في قوله تعالى: {**فَمَا تُغْنِ النُّذُر**} [القمر: 5]؛ إذ الأصل أن يُكتَبَ الفعل (تُغني) بإثبات الياء، ولكنّها حذفت في الرّسم تخفيفا على نيّة الوصل؛ فإنَّ الياء السّاكنة تُحذَف وَصْلا في النُّطق نظرًا لالتقاء السّاكنين وهما الألف والنون في كلمة (النُّذر).

ولمّا لم تكن علّةُ الحذف جَزْما أو ما في حكمه، فإنّ القارئ يعقوب الحضرمي يقفُ على هذا الحرف (تغني) بإثبات الياء، كما «يقف على كل ياء محذوفة من وسط الآي في واحد وثلاثين موضعا»(14).

أما من حيثُ الدّلالة، فإشارة الحذف هذه لها متعلّق بنوع (ما) في {فما تُغْنِ}، فإن كانت نافية؛ فالمعنى أنّ الإنذارات لن تفيد شيئا مع قوم طُمِست بصائرُهم وغطَّى الرّانُ على قلوبهم؛ فَحَذْفُ الياء الذي هو نقصٌ في بنية الكلمة يُشير إلى عدم حصول الفائدة المرجوّة من الإنذار كأنَّه نقصٌ حُكْميٌّ في مخرجات ذلك الإغناء، كأنَّ الإغناء لم يُؤْت أكله فيهم فنقصت مُخرجاته ونقصت بنيتُه كذلك.

وإن كانت (ما) أداة استفهام، فالاستفهامُ إنكاريّ، والمعنى: أيُّ غَناء أو أيُّ شيء تغني تلك النُّذُرُ لهؤلاء المعاندين؟ فإنَّ الحذف الذي هو نقصٌ في بنية الكلمة يشير إلى الخلل والنَّقص في أفهام أولئك القوم وبلادة عقولهم.

هذا من حيثُ انعكاسُ حذف الحرف على الدّلالة، أمّا من ناحية الصّوت والإيقاع؛ فلا يخفى ما يُحدِثُهُ حذفُ حرف الياء في تسريع النّطق بالكلمة والدّخول إلى ما بعدها في نَظْمٍ سريعٍ مع توالي مقاطع صوتيّة قويّة، يشعرُ بها من يقرأ الجملة قراءة صوتيّة: فـ/ ما/ تُغْ/ نِنْ/ نُ/ ذُ رْ /.

المثال الثاني: الفعل (يَدْعُ)، واسم الفاعل (الدّاعِ) في قوله تعالى: {**فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ**} [القمر:6]. الفعلُ (يدْعُ) أصله (يدعو) حُذفت الواو منه، وليس ثمّة عاملٌ صرفيّ أو نحويّ يوجبُ هذا الحذف. أمّا من حيث الصّوتُ، فالواو ساكنةٌ، وجاءت بعدها همزةُ وصل ثم الدّال السّاكنة الأولى من لفظ (الدّاع)، وهنا لا تُقرأُ (يدعو) بالمدّ نظرا لالتقاء السّاكنين.

أمّا لفظ (الدّاعِ) فهو اسمُ فاعل من (دعا)، والأصل: (الدّاعي)، وحُذفت الياء خطًّا، وليس للصّرفيين ولا للنّحاة توجيهٌ لهذا الحذف.

ومن النّاحية الصّوتيّة، فإنّ قراءة لفظ (الدّاعِ) بدون مدّ يُسَرِّعُ في النّطق بالكلمة وما يُجاورُها، ويجتزئُ من الوقت الذي يستغرقه القارئُ وهو يتلو {**يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ**}؛ فقَطْعُ الحرف الأخير إشارةٌ إلى قطع الوقت وتسريع الزّمن، أي أنّ الدّاعي لا يتلكّأُ لحظةً من زمن، وحذف الياء يُشعرُ بسرعة امتثال الدّاعي لأمر الله بالنفخ في الصّور، على قول المفسرين الذين فسروا الداعي بأنه إسرافيل أو جبريل ـ عليهما السلام ـ. وقريبا من سبب حذف ياء (الداعي) يقول الزركشي (ت: 794 هـ) عن حذف واو (يدعو): «حَذَف الواو لسرعة الدعاء، وسرعة الإجابة»(15)

من ناحية أخرى، يُشعِرُ الحذفُ بأنّه لا زمنَ للتّوبة والإنابة لمن وافى يومَ القيامة على الكفر والتّكذيب؛ فالوقتُ قصيرٌ جدّا مُتسارعٌ يومَ يدعو الدّاعي النّاس إلى المحشر، فلا وقتَ لمن لم يتُبْ في دنياه، والموقف شديد عصيب، والكل في حالة من الذهول والشدة، تدل عليه كلمة (نُكُر)، ذات الإيقاع والجرس الشديد، بينما استعمل في مواضع أُخر {فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ}، ولا مجال هنا في هذا الموضع للمط والتطويل والهدوء الذي تحمله كلمة (نكير)، وإنما الجزم على وجهة السرعة في كلمة (نُكُر).

هذا علاوة على التَّجانس اللفظيّ والتَّكرار الإيقاعي المتضمّن لقلقلة الدَّال وقَرْع العين عند نطق القارئ: {يَدْعُ الدّاع} حيثُ يُحْدِث التّجانسُ والتّكرارُ كلاهما لدى المستمِع اهتزازا وتنبيها ليستعدَّ لذلك الموقف الرّهيب، وهو في المحسنات من الجناس، حيث يجمع بين الكلمتين الاشتقاق(16)، فتجانس الفعل المضارع (يدعُ) مع اسم الفاعل (الدّاع)، يوحي بتسارع دعوة الداعي، فلا وقت للإطالة بالمدود سواء في واو (يدعوا) أو ياء (الداعي)، وهذا ما يناسب الجو العام لسورة القمر، فلو نظرنا للحذف سنجده مضطردا، لأن سياق السورة وجوها العام يستدعي ذلك الحذف.

والمعنى نفسُهُ يتكرّرُ في قوله تعالى: {**مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ**} [القمر: 8]، حيثُ تُصوّرُ هذه الجملة حالةَ النّاس وهو متوجّهون إلى الدّاعي بسرعةٍ فائقة. الكلُّ يجري في فزعٍ نحو الدّاع. لا وقت لمدّ الصّوت بحرف العين. الأمرُ أسرعُ من ذلك بكثير.

أقول: هذه الكلمات التي وقع فيها حذفٌ في نهايتها تتناسقُ مع الإيقاع العام المتسارع لنظم السّورة، حيث تبدو آياتها كأنّها صواعقُ تُرسَلُ بين الفينة والأخرى على المُكذّبين المبالغين في التّكذيب والاستكبار الذين يَفْجَؤُهُم بين كل قصّة وقصّة، السُّؤال المزلزل: {فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُر}؟

المثال الثالث: حذف الياء في كلمة (نُذُر) في الآية التي تكررت 6 مرات في السورة، في قوله ـ تعالى ـ: {فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُر}، وهي تستدعي التوقف عند حذفها، من دون علة نحوية ولا صرفية، ولا شك أن الفاصلة مرعية في حذف الياء من كلمة (نُذُر)، فكل فواصل السورة منتهية بحرف الراء، بينما أثبتها في كلمة (عذابي) التي لم تقع على رأس الآية، إلا أنه لا يختلف اثنان في أن العذاب الذي ينتظر الكافرين المشركين المكذبين في الآخرة، إنما هو من الله وحده لا من أحد غيره، «وثبتت الياء في الأولى لأنه فعل ملكوتي»(17) وفي نسبة العذاب أنه من الله ـ تبارك وتعالى ـ شدة لا تجاريه شدة، ويتسق هذا الأمر مع الشدة التي جرت عليها سورة القمر، وقد يقول قائل، ولو نسب الإنذار لذاته ـ تعالى ـ لحمل نفس معنى الشدة والوعيد، إلا أنه معلوم أن الله ـ تبارك وتعالى ـ قد أرسل لهم إنذارات كثيرة لعلهم يتعظون ويرجعون، وذكر ذلك في ذات السورة {**حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُر**}[القمر:5]، {**كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُر**}[القمر:23]، {**كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُر**}[القمر:33]، {**وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُر**}[القمر:36]، {**وَلَقَدْ جَاء آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُر**} [القمر:41]، فعدد الإنذارات لهم من الرسل والمعجزات، والظواهر الطبيعية لعلهم إليه يرجعون، وبه

ويؤمنون، وقال بعضهم إن كلمة (نُذُر) إنما المقصود بها إنذاري أو إنذاراتي (بالجمع) وقالوا جمع نَذير(18).

ثانيا: بنيةُ الكلمة وأثرها في الإيقاع

توالي الضّمّات: حفِلَت سورة القمر بجُملة من الألفاظ القصيرة المكوّنة من مقاطع صوتيّة قصيرة دون أن يتخلّلها حرفٌ ساكن أو حرفُ مدٍّ. من ذلك الألفاظ التي بها ضمّتان متواليتان مثل لفظ (نُذُر) و(نُكُر) و(سُعُر) و(دُسُر) و(زُبُر) و(دُبُر)، وهنا نأتي لتفصيل الأمثلة في هذا الباب.

نُـذُر: جمع نذير بمعنى مُنذر أو مصدر بمعنى الإنذار، قال أبو السّعود العمّادي (ت 982هـ): «والنُّذُرُ جمع نذير بمعنى الإنذار»(19). وقال أبو حيّان الغرناطي (ت 745 هـ): «{**فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُر**}: تهويلٌ لما حلَّ بقوم نوحٍ من العذاب، وإعظامٌ له؛ إذ قد استأصلَ جميعَهم وقطع دابرَهم، فلم ينسَلْ منهم أحدٌ، أي: كيفَ كان عاقبةُ إنذاري؟ والنُّذُر جمع نذير، وهو الإنذار»(20).

يلحظُ القارئُ أنّ لفظ (نُذُر) توالت فيه ضمّتان، والضمّة ثقيلةٌ تحتاج إلى جهد للنّطق بها، وإذا توالت ثلاث ضمّات ازداد الثّقل في مثل قوله تعالى: {فما تُغنِ النُّذُرُ}، على وزن (فُعُلٌ)، وهذا وزنٌ يتَّسم بثقل الحركات؛ إذ إنّ تتابع ثلاث ضمّات وتواليها في كلمة قليلة الحروف يؤدّي إلى ثِقَل في نطقها ومزيد عناية في إخراجها، وكأنَّ هذا الثِّقل يشير إلى قوّة تلك النُّذُر وكثرتها وثقل ما تحمله من وعيد وتهديد.

هذا، وقد تكرّر لفظ (نُذُر) بالتّنكير والتعريف في سورة القمر إحدى عشرة مرّة، وسندرس بعض فوائد هذا التّكرير ودلالاته في مبحث: تكرير الألفاظ.

نُكُـر: جاء لفظ (نُكُر) في قوله تعالى: {**فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُر**}[القمر:6]، يلاحظ أن لفظ (نُكُر) جاء على وزن (فُعُل) الذي يتّسم بثقل الحركات؛ إذ إنّ تتابع الضّمّات وتواليها في كلمة قليلة الأحرف يؤدي إلى ثقل نطقها ومزيد جهدٍ في إخراجها كما أسلفت في تحليل لفظ (نُذُر)، ولهذا الثقل فإنَّ القارئ ابنَ كثير المكّيّ يُسَكّنها (نُكْر)، كما قُرأت (نُكِرَ) على صيغة الفعل المجهول(21)، ومعنى نُكُر: أي منكر، قال أبو حيّان الغرناطي (ت 745 هـ): «(نُكُر) بضمّ الكاف، وهو صفةٌ على فُعُل وهو قليل في الصّفات»(22)، وقال الزمخشري (ت 583 هـ): «النُكُر المنكر الفظيع الذي تنكره النفوس لأنها لم تعهد بمثله وهو هول يوم القيامة»(23).

والعدول من مُنْكر إلى نُكُر، والإتيان بهذا اللفظ غير المعهود القليل الاستعمال في لغة العرب، وغير المتكرّر في البيان القرآني، فيه إشارةٌ إلى غرابة مشاهد يوم القيامة غير المعهودة، وأهوال الحساب غير المألوفة وما فيها من غرابة وقوّة وفزعٍ فظيع غير متوقّع، ولم تَرَ له النّفوس مثيلا في النّكارة والفظاعة.

وأيضا من النّاحية الصّوتيّة، الصّفة (نُكُر) أقصر في المدّة الزّمنيّة من (منكر) أو (نكير)، واستعمالها ينسجمُ مع الإيقاع العام لسورة القمر الموسوم بالسّرعة والقوّة والشّدة وقصر الكلمات.

وفي الوقت نفسه فإنّ هذه الصفة على وزن (فُعُل) تتناسب مع فواصل سورة القمر التي جاء كثير من منها على وزن (فُعُل) بضمّتين.

سُعُر: ورد هذ اللفظ في سورة القمر مرتين، في قوله تعالى {**فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ**} [القمر: 24]، وفي قوله تعالى: {**إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ**} [القمر: 47].

والسُّعُر: الجنون والسَّفه والهيجان. وقيل: جمع سَعِيرٍ، وهي النار ووقودُها ولهبُها. قال البيضاوي (ت 691هـ): «جمع سعير،... وقيل: السُّعُرُ الجنون، ومنه ناقةٌ مسعورة»(24). وقد فرّق الزركشري (ت 894 هـ) بين السُعُر والسعير. فقال: «وكل شيء في القرآن من ذكر (السعير) فهو النار والوقود، إلا قوله . عز وجل . : {**إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ**}، فإنه العناد»(25)، واختلاف المعنى بين الكلمتين إنما يرد على من قال: إنما أراد السعير واستبدله بالسُّعر مراعاة للفاصلة(26).

والمتأمّل في جِرس هذه الكلمة يلحظ فيها صفير السّين، وقوّة العين، كما أنَّ حركتي الضّم المتواليتين، إضافة إلى الوقف العارض الذي يمنح الرّاء المُكرّرة المُنحرِفة تفخيما عند النّطق، كلّ أولئك يجعل للكمة قوّة واهتزازا كشدّة انحراف المشركين المكذّبين عن منهج ربّهم، وادّعائهم الضلال والجنون، واللفظة بغرابتها تشيرُ إلى غرابة تصرُّفهم وغرابة سلوكهم وانحرافهم عن فطرتهم. واللفظ نفسه يتكرَّرُ في قوله تعالى: {**إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ**} [القمر: 47]، حيث جاءت الآية الكريمة بعد بيان أمر السّاعة وحتميّة وقوعها، وأنَّ عدم استعدادهم لها يدلُّ على أن المجرمين في انحراف وضلال وجنونٍ في الدّنيا، وسُعُر تتوقّدُ بهم في الآخرة.

دُسُر: ورد في قوله تعالى: {**وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ**} [القمر: 13]. وهو لفظ لم يرد في القرآن الكريم إلا في هذا الموقع من السورة، والدُّسُرُ جمع دِسار، مثل (كُتب) جمع (كِتاب)، والدِّسار، هو المسمار، وعمليّة الدَّسْر هي إصلاحُ السّفينة بالدّسار(27).

والمرَكّبُ الإضافيّ {ذاتُ ألواحٍ ودُسُرٍ} صفةٌ للسّفينة التي أوحى الله تعالى إلى نوح عليه السّلام أن يصنعها، وهداه إلى هندسة بنائها، والعرب البلغاء يحذفون الموصوف إذا دلّت عليه الصّفة، ومنه قوله تعالى: {**أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ**} [سبأ:11]، أي: أن اعمل دروعا سابغات.

وفي ذكر الوصف {ذات ألواح ودُسُر} وعدم ذكر السّفينة إشارةٌ إلى إحكام صُنْعها ومتانتها؛ فالعناية بوصفها هنا أشدّ بيانا لامتنان الله ـ تعالى ـ وتفضّله على عبده نوح الذي أُوذِيَ وازدُجِر.

من ناحية أخرى، فإنّ ذكر الصّفة وعدم ذكر الموصوف يُشارك في قصر العبارة، والإتيان بها متوافقة متناسقة مع قِصَر الجمل، ومنسجمة مع جميع فواصل السّورة التي تنتهي بالرّاء كما سيأتي بيانه في المبحث المخصّص للفواصل.

الزُّبُر: ورد لفظ (الزُّبُر) في السورة في موضعين اثنين يقول الله ـ تعالى ـ: {**أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءةٌ فِي الزُّبُرِ**} [القمر: 43]، ويقول: {**وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ**} [القمر:52]، والزُّبُر: جمع زَبور، وهو الكتاب، مثل رُسُل ورَسول، والزَّبور بمعنى مَزْبور، أي: مكتوب(28)، ومعنى الآية: أكفّارُكم يا أهل مكّة خيرٌ وأفضلُ من أولئكم الأقوام الذين حاق بهم العذاب، بل هلْ لكم براءةٌ مكتوبةٌ في الزّبر السّابقة التي أنزلها الله على أنبيائه؟

وكلمة (زُبُر) من النّاحية الصّوتيّة أقوى من كلمة (كُتُب) أو (أسْفار) لاحتوائها على حرف الزّاي الذي يحتوي على صفة الصّفير الصّاخبة، وحرف الباء القويّ المقلقل الشّديد المجهور، وكذلك حرف الرّاء المتكرّر المنحرف القوي. وهذا الصّوت القويّ يحملُ في طيّاته قوّة التّحدّي، كأنّه يقول لهم: إنْ كان لكم براءةٌ في أحد الكتب السّماوية السّالفة التي أنزلها الله على الأنبياء، فَأْتوا بها. وقوله ـ تبارك وتعالى ـ: {**وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ**}، متسق من الناحية الصوتية، كما أشرنا سابقا مع ما في السورة من شدة وقوة في أصواتها، والزبر ـ كما هو معلوم ـ الكتب التي تدون فيها الأعمال، وفي غير هذا الموضع، يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ: {**وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا**}[الإسراء:13] ويقول في سورة هود: {**وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ**

مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ}[هود:6]، وغيرها الكثير مما جاء في لفظ الكتاب والذي جاء في سورة القمر بلفظ الزُبُر، ولا شك أن هذا اللفظ يراعي الفاصلة القرآنية للسورة.

الدُّبُر: جاء لفظ (الدُّبُر) في قوله تعالى: {**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ**} [القمر: 45]، والمعنى أنّ الله تبارك وتعالى يُطمئنُ أهل الإيمان بأنّ أهل الكفر إذا واجهوهم في معركة؛ فإنّ أهل الكفر سيُوَلّون الدُّبُرَ نظرا لفراغهم العَقَدي وخوائهم الرّوحي، وانهماكهم بالدّنيا وحبّهم لها حيث إنّهم يحبّون الدّنيا حبًّا جمًّا؛ لذلك لا يُخاطرون بأنفسهم، وسرعان ما يُولّون الأدبار حين يحمى الوطيس ويلتقي الجمعان.

والدُّبر من كلّ شيء عقِبُهُ ومُؤخّره، وتعني: الظهر، وهو ما أدبر، أي: كل ما كان وراء ، وعكسه القُبُل(29)، والكلمة لها جِرسُها القويّ لاحتوائها على الحروف القويّة، فالدّال الشّديدة المجهورة المقلقلة، والباء الشّديدة المجهورة المقلقلة، والرّاء المكرّرة المنحرفة، وتوالي الضّمّات وما فيها من ثقل، كل هذه الصّفات تصوِّر حالة القوم عند انهزامهم وفرارهم ونكوصهم على أعقابهم، وما يكون في ذلك من تثاقل وتخاذُل؛ وذلك لأنَّ عادة الإنسان عندما يفرُّ أنّهُ يعود القهقرى، وينكص على عقبيه، ويرجع من حيث أتى ولا يقابل بوجهه الأعداء، بل يستدبرُهم. والتعبير في هذا الموضع بالدُّبر يُعطي صورة مجسَّمة عن بشاعة انسحابهم، وفرارهم وكأنهم يفرّون ورؤوسهم ملتوية للخلف غير قادرين على الاستدارة الكاملة إلى الأمام من شدّة فزعهم ورعبهم وجبنهم.

ولا شك أن الفاصلة مرعية في كل السورة، وفي الوقت نفسه، إفراد لفظ (الدّبر) بدل الإتيان بالجمع: ويولّون (الأدبار) يخدم الجانب الصّوتي والتّناغم الإيقاعي للكلمات المكرّرة في فواصل سورة القمر كما سنقف عنده في مبحث الفواصل.

الكلمات ذوات المقاطع الصّوتيّة القصيرة: من ناحية أخرى، يتميّزُ النّسيج اللفظيّ في سورة القمر بألفاظ قصيرة على وزن (فَعِل) و(فَعَل). هذه الألفاظ حين يقرأها القارئ وتقع في أذن السّامع فإنّها تدلّ بجِرسها وقصر مدّة النّطق بها على تَسارُع الأحداث، ويُعطي ذلك إيقاعا صوتيّا متكرّرا جميلا، وفي الوقت نفسه يكون قويّا مؤثّرا يعكس شدّة الأحداث التي تحكيها آيات سورة القمر، والمراحل السّريعة التي مرّ بها المكذّبون. ومن هذه الألفاظ القصيرة:

عَسِر: في قوله تعالى: {**يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِر**} [القمر: 8]، كلمة (عَسِر) مع قلّة حروفها إلا أن مظهرها الصّوتيّ القويّ الشّديد يعكس دلالتها المعنوية، ابتداء بتنوُّع حركاتها من فتح وكسَرْ وضمّ وانتهاءً بصفات حروفها، فهي تحمل دلالة بُعْدِ العين العميقة المخرج الحلقي، الثقيلة في النُّطق لثقل مكانها، ثم السّين الذي يخرج من أسَلة اللّسان بأزيز الصّفير، ثم حرف الرّاء القويّ المتكرّر المرتجف المضطرب كاضطراب ذلك اليوم العظيم المفزع الذي يشيب من هوله الولدان. وهكذا اتّسقت الكلمة بحروفها لتعطينا مدلولا قويّا عن مشهد يوم القيامة الذي يكون عسِرا بمعناه الحقيقي، وهو ما يعكسه لفظ (عَسِر) بقصره وقوّته.

هذا، والمتدبّر في القرآن الكريم بشكل عام، يجدُ فرقا واضحا بين لفظ (عَسِر) الذي جاء في هذا السّياق، ولفظ (عسير) الذي جاء استعماله في موضعين في القرآن، في سورة المدّثّر: {**فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِير عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِير**} [المدثر: 9-10]؛ وفي سورة الفرقان: {**الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا**} [الفرقان:26]، حيث إنّ المدّ في كلمة (عسير) يُخفّفُ من الضّغط على أعضاء النّطق حين التّلفّظ بها، ويعطي الوقت الطويل الذي يتضمنه نطقها، دلالة على طول الوقت وبطء مروره عليهم، كما تدل عليه كلمة (غير يسير) ما أنه يفهم هذا الأمر من وصفِهِ بـ (عسير)، وتكرار كلمة (يوم) و(يومئذ) في آيتي (المدثر والفرقان) يخدم نفس البطء وعدم مرور الوقت، بينما حَذْفُ المد في (القمر) يزيد عملية النُّطق جهدا وصعوبة وتكلفًا وهو ما في معاني العسر من التّضييق، ناهيك عن إيقاع السرعة الذي تطلبه السورة تماشيا مع موضعها.

أَشِر: نظير ذلك توظيف صفة (أشِر) في موضعيين متتاليين: { **بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِر سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الأَشِر**} [القمر: 25-26]. والأشِرُ: اسم فاعل من (أشِر) ومعناه: بطِرٌ متكبّر، مُعْجَب بنفسه، مُدَّع ما ليس فيه(30). والملاحظ أن كلمة (أشِر) مكوّنةٌ من حرف الرّاء المكرّر المنحرف الذي يعطي الكلمة ثقلا وقوّة، كما أنَّ عمق مخرج الهمزة الحلقي، والتّفشّي القويّ لحرف الشّين، مع حرف الرّاء القويّ المفخّم بالضَّمّ وصلا، يُعطي الكلمة صدى صوتيًّا عنيفًا يتناسب مع حجم الاتّهام الذي وجّهه المكذّبون لنبيّهم وهو الكذِبُ المتجاوز للحدّ. ولهذا ردَّ الله تعالى عليهم بنفس أسلوبهم بأنَّ غدا ستنكشف الحُجُب، وسيعلم المكذّبون مَنْ هو الكذّاب الأشِر المتجاوز لكلّ حدٍّ في الكذب والبطر والإعراض. هل نبيُّهم أم هم؟ والجواب واضح لكل ذي لبّ.

والذي يعنينا ونحن نتحدّث عن النّسيج الإيقاعي لسورة القمر، هو هذا الاختيار الدّقيق للوصف (أشِر) على وزن (فَعِل) الذي يتناسب وينسجم مع نظائره من الكلمات التي جاءت على نفس الوزن مُحدثةً نغمًا موسيقيًا يهتزُّ له القارئ والسّامع كلاهما.

ثالثًا: بناء الأفعال للمبني للمجهول.

كُفِرَ: ثمّ يُطالعنا الفعل (كُفِر) الذي جاء مبنيا لما لم يُسَمَّ فاعلُه في قوله تعالى {**تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ**} [القمر: 14]، ويتساءل الباحث لماذا هذا الفعل المبنيّ للمجهول؟ ما المعنى الذي يحملُهُ؟ وما الوظيفة الصّوتيّة التي يؤدّيها؟

أقول: إنّ في الإتيان بالفعل (كُفِر) تكريمًا لنوح .عليه السلام .؛ حيث صيره الله .تعالى . نعمةً إلاهية، كان يستجوب أن تُشكر، لا تُكفر، وحينما صدر منهم هذا الكفر والجحود؛ فعل ما فعل الله فهم من إغراق، وإنجاء لنوح ومن معه من المؤمنين، وجعل السفينة تجري بهم إكراما لعبده نوح.

فالتّصريح بالفعل المبنيّ للمجهول يؤدّي هذه الدّلالة على جعل نوحٍ نعمةً كُفِر بها «وجعله مكفورا لأن النبي نعمة من الله ورحمة، قال الله .تعالى : {**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِين**}[الأنبياء:107] فكان نوح .عليه السلام .نعمة مكفورة»(31)، وتدل (من) الموصولة على نوح في أقوال بعض المفسرين كما رأينا عند الزمخشري، وقال بعضهم أنه تدل على رب العزة، «قال ابن عباس ومجاهد: (من) يراد به الله تعالى، كأنه قال: غضبا وانتصار الله تعالى؛ أي: انتصر لنفسه، فأغرق الكافرين، وأنجى المؤمنين»(32)، ولا يقف القارئ على هذين المعنيين الدقيقين، إلا مع صيغة المبني للمجهول في هذا الموضع، فلو قيل: جزاء لنوح، أو جزاء وفاقا لأعمالهم، لما حصل المعنى المراد من الآية.

هذا من حيث الدّلالة، أمّا من حيث المنظومة الصّوتيّة فلا يخفى التّناسق الرّائع المُدهش، ولا تخفى اللّذّة الصّوتيّة التي يجدها التّالي وهو يقرأ كلمة (كُفِرَ) بين أخواتها: نُكُر/ منتشر/ عسِر/ وازدجِر/ فانتصر/ منهمر/ قد قُدرٍ/ دُسُر/ كُفِر....

والمتعة ذاتها يُحسُّ بها القارئ في الألفاظ التي جاءت على نفس الأوزان المتقاربة المتشابهة في قِصَرها وشدّتها وعدم وجود المدود فيها مثل: بسَحَر، سقَر، بالبصر،،. وغيرها كثير.

تكرير صوت الصّاد في كلمة: صرصر: من الألفاظ التي لها وقعٌ خاص في الأذن، وتشارك بنيتُها في تشكيل الإيقاع العام للسّورة كلمة (صرصرا) التي جاءت في وصف الرّيح

العاتية التي سلّطها الله تعالى على عاد. قال تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍ} [القمر: 19].

والرّيح الصّرصر العاتية الباردة القارسة، وقيل: الرّيح التي تُعرَفُ بشدّة الصّوت(33)، وتضعيف عين الكلمة للمبالغة في شدّتها بين أفراد نوعها كتضعيف كَبْكَب للمبالغة في كَبّ. وأصله صَرَّ، أي صاح، وهو وصفٌ لا يؤنَّثُ لفظه لأنّه لا يجري إلا على الرّيح وهي مقدَّرةُ التأنيث، وكلمة (صر) من الكلمات القويّة لاحتوائها على حرف الصّاد القويّ بصفاته؛ فهو حرفٌ مُطبَقٌ مُسْتعل فيه صفيرٌ وهمسٌ يصوّران صوت الرّيح عند هبوبها، وكذلك تَجاوُرُهُ مع حرف الرّاء المكرّر المنحرف في كلمة (صرصر) يعطي دلالة القوّة لهذه الرّيح ذات الصّوت المرعب التي اقتلعتهم وأنهت وجودهم وطغيانهم مِن على هذه الأرض بسبب تكذيبهم وعنادهم.

توالي الكلمات ذوات الوزن الواحد: من الوسائل التي شاركت في بناء الإيقاع الصّوتي لسورة القمر، توالي الكلمات ذوات الوزن الواحد مثل: لفظي (صغير) و(كبير) في قوله تعالى: {**وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ**} [القمر: 53]. فالوصفان (صغير وكبير) على وزن فعيل، ومجيئُهما مُتواليين ومتعاطفين في جملة واحدة يُحدثُ في نفس المتلقّي لذّةً ومتعة لا يجدها لو اختلف اللفظان وزنا. أضف إلى ذلك التّقفية الداخليّة التي تزيد في روعة تناسقهما؛ إذ لا يخفى ما يُحدثه التَّوافق في انتهاء كل كلمة منهما بحرف الرّاء الذي بُنيَت السورة كلها عليه في فواصلها من إيقاع يجدُ لذّته كلُّ ذي أذن موسيقيّة تتذوّق البيان الجميل وتهتزّ به.

هذا علاوة على ما بين الوصفين من تطابق، وهو من المحسّنات البديعيّة التي سنقف عندها مليّا في مبحث المحسّنات وأثرها في الإيقاع الصوتي العام للسورة.

التقفية الدّاخلية بين كلمتين متواليتين: قريبٌ من ذلك في صنع الإيقاع الدّاخليّ الجميل، ما يُحدثه التّقابل بين الكلمات المتوالية في الجملة الواحدة، وفي الجمل المتواليات: من ذلك التركيبان اللغويان: سِحرٌ مستمرّ، وأمرٌ مُستقرّ؛ حيث يجد المستمع تناسقا جميلا وانسجاما صوتيا بسبب: التّطابق في الوزن بين (سِحر) و(أمْر)؛ إذ كلاهما على وزن فعْل مع اختلاف ضبط فاء الكلمة بين كسر وفتح، ومع ذلك يجد المتلفّظ بالكلمتين وكذلك السّامع تزاوجا وإيقاعا يحدثه اشتراكهما في الوزن، الأمر نفسُه يتكرّر في كلمتي (مستمرّ) و(مستقرّ) على وزن (مفتعِل).

هذا من ناحية، أيضا مصدر المتعة صادرٌ عن التّقفية الداخليّة المتطابقة بين الكلمات الأربع حيث ينتهي كلٌّ منها بحرف الرّاء. نظير ذلك التراكيب اللغوية الآتية: {مَجْنُونٌ وَازْدُجِر} و{مَغْلُوبٌ فَانتَصِر}، إنّ النّاظر المتدبّر في هذين التركيبين اللغويين يجد أنّ مصدر الجمال الصّوتي في كل منهما نابعٌ من التّطابق في الوزن بين (مجنون ومغلوب) على وزن مفعول. وكذلك التطابق بين الجملتين (وازدُجِر) (فانتصر).

والظّاهرة الصّوتيّة نفسها تتكرّر في التّراكيب اللغويّة الآتية: {نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍ} {نَخْلٍ مُّنقَعِر}، {شِرْبٍ مُّحْتَضَر}. ولا أكون مبالغا إذا قرّرت بأنّ هذه الظاهرة الصّوتيّة هي من أهمّ الظواهر الصّوتية في سورة القمر في إحداث إيقاعها الجميل القويّ المؤثّر الذي يأخذ بالألباب، ويهزُّ الوجدان ويُحرّك المشاعر.

ومن هذا القبيل أيضا الأوصاف التي جاءت متوالية متتالية في تناسق بديع سبَبُهُ الاتّفاق في الوزن بين الكلمات الأوائل في كل تركيب، والاتّفاق في الوزن بين الكلمات الثّواني في التّراكيب اللغويّة ذاتها. وهذه الأوصاف هي {**عَزِيزٍ مُّقْتَدِر**}، { **جَمِيعٌ مُّنتَصِر**}، {**كَبِيرٍ مُّسْتَطَر**}، { **مَليكٍ مُّقْتَدِرٍ**}، وكلّها على وزان: فعيل مُفتعل.

وهذا التّقابل في الأوزان بين الكلمات الأوائل والكلمات الثّواني، وما يحمله من إيقاع داخلي هو الذي يُحدث الجمال الموسيقيَّ واللّذّة الماتعة، فعندما تقرأ هذه التّراكيب اللّغوية قراءاتٍ متوالية مع إعطاء فسحة للذّهن للتّغنّي بها، فإنّها تبدو . مع الفارق العظيم . كأنّها تفعيلاتٌ وألحانٌ متوازنةٌ متكرّرة جاءت ضمن أوزان شعريّة قصيرة تتكرّرُ في انسيابيّة وتناغم وتناسق.

صيغة الافتعال: إذا غُصنا في لجّة الإيقاع الدّاخلي لسورة القمر من جديد، وبعد الفحص والتّنقيب في الأبنية والصّيغ المتكرّرة فيها، يلحظ القارئُ المكرّرُ لتلاوة السّورة أنّ ثمّة صيغا بعينها تكرّرت بكثرة لافتة في نسيجها اللّفظي، ويجد نفسه أمام مُتعة إيقاعيّة جميلة تستلذّها أُذُنه، وتستسيغها نفسُه، ويطربُ لها وِجدانه، وعند الالتفات إلى مصدر تلك المتعة واللّذة يجد أنّها مُنبعثة من هذه الصّيغة المتكرّرة أو تلك.

من ذلك صيغةُ الافتعال التي تكادُ تكونُ مَعْلما صوتيّا بارزا في النّسيج الصّوتي ولبنةً مكوّنة للإيقاع الدّاخلي للسّورة، والافتعال عادة يدلُّ على المطاوعة والاتّخاذ والتّصرّف وقوّة أداء الفعل(34). وأنا أدعو القارئ أن يكون هو المتكلّم والمتلقّي في الوقت نفسه، أي: أن يقرأ

الكلمات، ويستمع إليها بإنصات وتمعّن ليحكم على وقعها في نفسه، ثمّ يُصدر النّتيجة التي يرتاح إليها ضميره.

ولا شك أن تحول المفردة في العربية من وزن إلى آخر، إنما يعطي دلالات معينة يحملها هذا الوزن، فالصيغ الصرفية تحمل معاني ودلالات غير الذي تحملها المفردة المعجمية، وهذا مبحث فصّل فيه القدماء، يقول الزركشي: «واعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أعلى منه؛ فلا بد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا، لأن الألفاظ أدلة على المعاني؛ فإذا زيدت في الألفاظ وجب زيادة المعاني ضرورة. ومنه قوله تعالى: {**فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ**} [القمر:42]؛ فهو أبلغ من (قادر) لدلالته على أنه قادر متمكن القدرة؛ لا يُرد شيء عن اقتضاء قدرته؛ ويسمى هذا قوة اللفظ لقوة المعنى. وكقوله تعالى : {وَاصْطَبِرْ} [القمر:27]. فإنه أبلغ من الأمر بالصبر من (اصبر)» (35). فصيغة (الافتعال) في العربيّة يكثرُ استعمالها في كل ما فيه جَهدٌ وتكلّفٌ وشدّة ومبالغة في إصدار الفعل، تبيّنَ لنا وجهٌ على الأقل من وجوه استعمالها من حيث الدّلالة؛ إذ إنّها تشارك في تصوير شدّة صدور الأفعال عن فاعلها؛ فإنّ كان الفعل صادرا عن أهل الشّرك والكفر فالوجهُ أنّ صيغة الافتعال تصوّر تناقض الكافر المشرك مع الفطرة، واجتهاده في التّمسّك بفعل الكفر بقوّة وحرص على الرّغم من أنّ الفطرة تناديه بالإيمان، وهو ما نجده في الألفاظ: مُسْتَمِرٌّ/ وازدُجر/ مدّكر/ مستمرّ/ مُحتَضَر/ المُحتظِر/ منتصر/ مُسْتَطر.

وأمّا إذا كان الفعل صادرا عن الله ـ تعالى ـ فوَجْهُ توظيف صيغة الافتعال ظاهر جليّ حيث إنّها تفيد بوزنها القوّة في إيقاع الفعل من قويّ عزيز مقتدر، وهو ما يلحظه القارئ في : مستقرّ/ فانتصِرْ/ واصطبِرْ/ مستقرّ/ مقتدر.

صيغ المطاوعة وأثرها في الإيقاع الدّاخلي: صيغة الانفعال شبيهٌ بصيغة (الافتعال) التي كان لها صدى كبيرٌ في المنظومة الصّوتيّة في سورة القمر، يجدُ الباحثُ صيغة (الانفعال) التي تدلُّ على المطاوعة في أصل الوضع، جاء في الشافية: «وانفعلَ لازمٌ مطاوعُ: فَعَلَ نحو: كسرتُهُ فانكسر، وقد جاء مطاوع أفعلَ نحو: أسفَقْتُهُ فانسَفقَ، وأزعجتُهُ فانزعج»(36). وقد جاء في سورة القمر من هذه الصّيغة:

1 – الفعل (انشقَّ) مطاوع شقّهُ فانشقَّ، وهذا دليل على مطاوعة القمر لإرادة الله تبارك وتعالى ككل شيء في الوجود؛ إذ ليس ثمّة شيءٌ يندُّ أو يشذُّ عن إرادة الله تعالى ومشيئته، وأمرُهُ سبحانه بين الكاف والنّون.

2 – اسم الفاعل (منهمِر) من الفعل (انهمر) مطاوعُ (همر). قال الرّاغب الأصفهاني (ت: 425 هـ): «الهَمْرُ: صبُّ الدّمع والماء. يُقالُ همرَهُ فانهمر»(37). قال تعالى: {فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاء بِمَاء مُّنْهَمِر} [القمر: 11]. قال أبو السّعود العمّادي (ت: 951هـ) في تفسيره شارحا لفظ (منهمر): «منصبّ، وهو تمثيلٌ لكثرة الأمطار وشدّة انصبابها»(38).

ومن النّاحية الصّوتية تبدو كلمة (منهمر) في بَدْء التأمّل فيها كأنّها ليست قويّةً لأنّ أغلب حروفها ضعيفة ومتوسّطة، لكنَّ عُمْقَ مخرج الهاء الذي يخرج من أقصى الحلق، وما يسبقها من حركات سريعة متوالية من ضمّة وسكون وفتح وكسرٍ انتهاءً بحرف الرّاء المكرّر المنحرف القويّ يُعطي دلالة السُّرعة في حركة الماء الغزير المتوالي دفعةً بعد دفعة، وهنا تظهر قوّةُ اللّفظة المتناسبة مع إهلاك المكذبين بقوّة وشدّة، كما أنَّ الكلمة تتكوّنُ من مقطعين (مُنْ/ هَمِرْ) المقطع الأوّل ينتهي بنونٍ مُظهَرة يقرع اللّسانُ فيها أصول الثَّنايا العليا، والنَّبر عند المقطع الثاني، لتتكامل دلالة المقطعين من الإظهار والنَّبر في الإيحاء بانسيابية نزول الماء من أبواب السّماء.

3 – اسم الفاعل (منقعِر) من الفعل (انقعر) مطاوع قَعره، أي بلغ قَعْره بالحَفْر يقال: قَعَرَ البئرَ إذا انتهى إلى عمقها(39)، فالآية تصوّرهم كأنّهم أعجاز نخل قُعِرت دواخلُه، وذلك يحصل لِعُود النَّخل إذا طال مُكْثُه مطروحا. وكلمة (منقعر) قويّةٌ لأنَّ أكثر حروفها قويّة؛ إذ فيها حرف القاف المستعلي الشّديد المجهور، وفيها العين الحرف الحلقيّ الذي يحتاج جَهْدا في إخراجه، وكذلك حرف الرّاء المكرّر المنحرف المجهور الذي معظم صفاته قويّة.

وهي بهذا التّشكّل الصّوتي تدلُّ دلالة واضحة على شدّة الرّيح وعُنفها، ومدى قوّة الهلاك والتّدمير الذي ألحقه الله بالمكذّبين، وتصوّر كيف صاروا جُثثا هامدة مرميّةً هنا وهناك، مبعثرة لا حراك فيها ولا حياة، كأعجاز النّخل التي دمَّرتها العواصف الهوجاء الشّديدة، فصارت تلك الجذوع خاويةً مجوَّفة مكسّرة هامدة، ولا شكل أن ثمة فارقا كبيرا بين (منقعر) وكلمة (خاوية) حينما قال الله تبارك وتعالى: {**سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ**}[الحاقة:7]، فبخلاف الفاصلة التي تتطلب هذا التذييل، فإن السرعة مطلوبة في سورة القمر، بينما نفهم أن تأثير الريح في (الحاقة) كان أشد على النخل، وذلك بسبب طول مدة الرياح، {**سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ**

أَيَّامٍ حُسُومًا} بينما في القمر {**فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍ**}[القمر:19]، هذا بخلاف المد الذي يشعر بطول الفترة والزمن في كلمة (خاوية) وهو ما لا نجده في (منقعر).

حرف العطف الفاء ووظيفته في سرعة الإيقاع: يتّسمُ الإيقاع العام لسورة القمر كما أسلفت بالسّرعة والقوّة نظرا لمعالجة السّورة شأن المشركين المكذّبين الذين يستحقّون هذا النّوع من الأسلوب الشّديد الذي يرهبهم ويتوعّدهم.

والذي أشير إليه هنا التسارع الذي تتسبّبُ فيه فاءُ العطف التي تفيد التّرتيب والتّعقيب كما قرّر النّحاة؛ إذ إنّ توالي الجمل القصيرة التي يربط حرف الفاء بينها أمرٌ يلفتُ الانتباه ويسترعي النّظر، ويجعل المشهد يمرُّ أمام عيني القارئ والسّامع في سرعة خاطفة. أحداثٌ تتوالى ونُذُرٌ تتعاقب، وأنواع عذاب تتنزّلُ على المكذّبين بالنُّذُر في قوّة وسرعة منقطعة النّظير، وما على الباحث الذي يريد أن يرصد سرعة المشاهد والأحداث التي نتحدّثُ عنها إلاّ أن يقرأ المقاطع الآتية:

المقطع الأوّل: قال تعالى: {**فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرِ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ**} [القمر: 10-12]، فالفاء في هذه الآيات كان لها وضيفة فعّالة في تسريع الأحداث: فدعا/ ففتحنا/ فالتقى.

وقد حَذف بعض الأفعال من باب تسريع الاستجابة؛ يقول النحاس (ت: 338 هـ): «فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ.. التقدير: فنصرناه، ففتحنا أبواب السماء، لأن ما ظهر من الكلام يدل على ما حذف»(40).

المقطع الثاني: قال تعالى: {**وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ**} [القمر: 15-18]، نرى في هذا المقطع، أربع جمل بُنيت على الاستفهام، وهذه الجمل الأربع كلّها جاء ربطها بما قبلها بالفاء، وهذا من بديع أسلوب القرآن لتصوير تسارع الأحداث والتّنبيه إلى الكيفيّة العظيمة والسّريعة التي أخذ الله المنتقم الجبّار بها أعداءه.

المقطع الثالث: قال تعالى: {**فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ**}[القمر:29]، نلحظ في هذه الجمل المتعاطفة بالفاء كيف أنّ الله سبحانه عطف كلّ واحدة على سابقتها بالفاء التي ترتّب الأحداث وتجعلها تتعاقب في سرعة خاطفة، وهذه الفاء تصوّر هنا أشقى قوم ثمود وقد حرّضه صناديد الكفر في قومه وزيّنوا له عقر النّاقة، وتعاطى الناقة بسيفه ولم يتريّث أبدا فعقرها وباء بأكبر جرم في حياته، وكان من الخاسرين، وتدل الفاء على الترتيب وسرعة

التعقيب، وبين الأفعال محذوفات، وهذا من فعل الفاء الفصيحة التي تطوي كلاما كثيرا يدل عليه السياق. يقول زاده «{فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ} فصيحة تفصح أن في الكلام محذوفا تقديره: فبقوا على ذلك زمانا ثم ملوا وتحرجوا من ضيق الماء والمرعى عليهم وعلى مواشيهم»(41).

شيوع صوت السّين وأثره في الإيقاع العام للسورة: بتكرير تلاوة سورة القمر، علاوة على حرف الرّاء الذي تصطبغُ به السورة في نسيجها اللفظي وفواصلها، وهذا ما سنركّز على تحليله في مبحث الفواصل، فإنّ الصوت الثاني الذي له حضورٌ مكثّفٌ هو صوت السّين، والسّين صوت مهموسٌ رِخوٌ منفتحٌ مُصمَتٌ مستفِلٌ، وهذه الصّفات تميلُ به نحو الضّعف لولا وجودُ الصّفير الذي يُكسبُهُ شيئا من القوّة.

وعلماء الأصوات والتّجويد يعرّفون الصّفير بقولهم: «صوتٌ زائدٌ يشبهُ صوتَ الطّائر يخرُجُ من بين ثنايا اللّسان وطرفه، وحروفه هي الزاي، والسّين، والصّاد، ويكون الصّفير أقوى في الصّاد ثمّ الزّاي ثم السّين»(42).

والملاحظ أنّ صوت السّين كثُرَ ورودُهُ في وسط الكلمات، وأعطى نغمًا خاصا للآيات التي ورد فيها حيث خفّف من ثقل نُطق الكلمات التي جاءت على وزن (فُعُل) بضمّتين، كما أنّ قوّة الصّفير فيه جاءت منسجمة مع قوّة الأحداث وقوّة الرّيح الصرير التي أهلكت عادا، وقوّة الأمواج العاتية التي أغرقت قوم نوح وقوم فرعون، وقوّة الصّيحة التي أهلكت ثمود، وقوّة الخسف الذي زلزل ديار قوم لوط.

والكلمات السّينيّة هي: السّاعة، سحرٌ، مستمر (2)، عَسِر، مستقرّ (2)، دُسُر، نَحْس، سُعُر (2)، بسحَر، مسّ، سقر، مستطر.

وأهمّ الملحوظات التي يسجّلها المتأمّل في الكلمات التي جاء السّين مُكوّنا من مكوّناتها، أنّها جاءت في بداية بعض الكلمات مثل: سِحْر وسَحَر، وجاءت في وسطٍ بعض منها مثل: عَسِر ودُسُر، وجاءت في كلمات تكرّرت مرّتين مثل: مستمرّ ومستقرّ وسُعُر، وتكرّرت في كلمتين متواليتين في نهاية الأولى وبداية الثانية في المركّب الإضافي {مسَّ سقَر}. وفي جميع هذه التراكيب اللغوية التي جاءت فيها السّين، أعطى صفيرُها وهمسُها جوّا من النّغَم الحزين الذي يُضاف إلى نغم الرّاء القويّة المكرّرة الارتعاديّة فيتشكّل منهما إيقاع جميل منتظمٌ وصبغةٌ لفظيّة عُرفَت بها سورة القمر دون غيرها.

المبحث الثاني: الفواصل ودورها في الإيقاع العام للسورة

إنّ قارئُ سورة القمر والمتأمّل في نظم فواصلها تستوقفُهُ جملةٌ من الظّواهر الصّوتيّة المتعلّقة بالفاصلة القرآنية، وسأحاول في هذا المبحث عرض أبرز الظواهر محلّلا تارة، ومُعدّدا مختصرا طورا آخر تجنّبا للإطالة والإسهاب، وأوّل ما يشدُّ انتباه القارئ صوت الرّاء القويّ المنحرف المتكرّر الذي يحسنُ أن نبدأ جولتنا مع الفواصل بالوقوف عنده.

صوت الرّاء: بُنيت سورة القمر من مبدئها إلى منتهاها في فواصلها على حرف الرّاء. والرّاءُ صوتٌ منفتحٌ مستفلٌ مُذلَقٌ منحرفٌ مُكرّرٌ وسطٌ بين الشّدّة والرّخاوة. قال سيبويه في وصفه: «ومنها المكرّرُ وهو حرفٌ شديدٌ يجري فيه الصّوتُ لتكريره وانحرافه إلى اللام، فتجافى للصّوت كالرّخوة، ولو لم يُكرّرْ لمْ يجرِ الصّوتُ فيه، وهو الرّاءُ»(43).

ومعنى التّكرير في الرّاء أنّ المتكلّم حين ينطقُ بحرف الرّاء ويقفُ عليه فإنّ طرفَ اللّسان يتعثّرُ بما فيه من التّكرير؛ ولذلك لا تُدْغَمُ الرّاءُ فيما يليها من الحروف لأنّ إدغامها في غيرها يسلبُها ما فيها من الوفور بالتّكرير(44). وبالجملة فإنّ النّطق بحرف الرّاء يكون بتكرير ضربات طرف اللّسان على مؤخّر اللّثّة تكريرا سريعا، وتتذبذبُ الأوتار الصّوتيّة عند النّطق به، وعلى النّاطق أن يحذر من تعدّد الرّاءات حين ينطق راءً واحدة.

وإذا جئنا إلى سورة القمر التي نحن بصدد دراسة إيقاعها الصّوتي العام وفواصلها، فإنّه يبدو لكلّ قارئ متدبّر فيها أنّ نسيجها الصّوتي العام يقوم على حرف الرّاء حيث إنّ جميع فواصل السّورة، وهي خمسٌ وخمسون فاصلة جاءت على حرف الرّاء، أي أنّ السورة ذات فاصلة موحّدة في جميع آياتها.

ولعلّ القوّة في حرف الرّاء، وصفة التّكرير فيه، هما من مسوّغات اصطباغ فاصلة سورة القمر به نظرا لشدّة الأقوام الذين كذّبوا رسل الله، ونظرا لتكرير الرّسل إنذارَهم بما أرسلهم الله .تعالى. به إليهم، وأيضا يتناسبُ التّكرير مع تكرير إنزال العقوبات على المشركين المكذّبين على بساط التّاريخ الإنساني.

من ناحية أخرى، يجد القارئ حضورا مكثّفا لحرف الرّاء في عدد كبير من الكلمات في متن السّورة، وهذا يعكسُ قوّة النّسيج الصّوتي للسّورة وشدّة إيقاعها المبني على الرّاء وما شابهها من حروف قويّة شديدة، وهو ينسجم مع الغرض العام للسورة الذي بيّنّاه في مدخل الحديث عنها، وهو نزولُها سيفا قاطعا وصيحة مدويّة في وجه المشركين المكذّبين، وإيقاع النُّذر عليهم كإيقاع الصّواعق المرسلة الموجّهة إلى القوم المراد إهلاكهم.

عدد الكلمات التي فيها حرف الرّاء سوى الفواصل: وفيما يأتي عرضٌ للكلمات (48 كلمة) التي جاء فيها حرف الرّاء سوى الفواصل التي سنُفرد لها حديثا فيما بعد: اقتربت/ يَرَوْا/ يُعرضوا/ سحر/ أمر/ أبصارهم/ يخرجون/ جراد/ الكافرون/ ربّه/ وفجّرنا/ الأرض/ أمر/ تجري/ تركناها/ أرسلنا/ ريحا/ صرصرا/ يسّرنا/ القرآن/ للذّكر/ أبَشَرًا/ الذّكر/ مُرسلو/ فارتقبهم/ شرب/ أرسلنا/ يسّرنا/ القرآن/ للذّكر/ أرسلنا/ أنذرهم/ فتماروا/ راودوه/ بكرة/ يسّرنا/ القرآن/ للذّكر/ فرعون/ أكفّاركم/ خير/ براءة/ المجرمين/ النّار/ أمرنا/ صغير/ كبير/

ممّا سبق يتّضح بجلاء كيف أنّ صوت الرّاء المكرّر الارتعاديّ القويّ قد هيمن على النّسيج العام للسّورة من بدايتها إلى نهايتها، وممّا يلفت الانتباه أيضا أنّ حرف الرّاء جاء بكثافة في الكلمة التي تسبق كلمة الفاصلة، وهذا بمفرده يُشكّل نغما خاصّا يتحلّى به الإيقاع العام للسّورة، وفيما يأتي أمثلة لمجيء الرّاء في الفاصلة والكلمة التي تسبقها، ولا يستطيع القارئ والمستمع إلاّ أن يُقرَّ بإحكام الصّوغ وتفرّد هذا النّسيج القرآني المعجز في معناه ومبناه.

سحرٌ مستمرّ/ أمرٌ مستقرّ/ جرادٌ منتشر/ أمْرٍ قد قُدر/ فارتقبهم واصطبر/ شِربٌ محتضر/ فتماروا بالنّذر/ براءة في الزّبر/ صغير وكبير مستطر/.

انسجام الفواصل فيما بينها: الغرض الأساس للفواصل القرآنيّة هو تمكينُ المعنى والتّعبير عنه بأدقّ عبارة، وفي الوقت نفسه تقديمه للمتلقّي بأبدع نظام صوتيّ ينسجم مع الموضوع المعالج. وهنا يبدو سؤال: هل يُؤثّر اختلاف الموقع الإعرابي للكلمة الأخيرة على انسجام الفواصل وتناسقها؟ بمعنى: هل من الضّروري أن تتساوى الكلمات في نهايات الفواصل في الحركة الإعرابيّة أو ليس من الضروري ذلك؟

الجواب: المعتبَرُ في الفواصل من حيث المعنى هو الوصلُ والنّاحية الإعرابيّة، أمّا من حيث النّاحية الصّوتيّة فالاعتبارُ يكون للوقف؛ لأنّ القارئ حين يقف عند قراءة الفاصلة سيتحقّقُ الغرض المنوط بها وهو إحداث الإيقاع المنسجم المتناسق، وإصدار النّغم الذي يتأثّرُ به المتلقّي، ولا يُؤثّرُ إذا كانت الكلمة الأخيرة مضمومة أو مفتوحة أو مجرورة لأنّ النّطق بها يكون بتسكينها، وهذا يخدمُ الإيقاع الصّوتي المنشود.

قال الإمام الزّركشي: «إن مبنى الفواصل على الوقف، ولهذا شاع مقابلةُ المرفوع بالمجرور وبالعكس كقوله: {**إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لاَّزِب**} [الصّافّات: 3]، مع تقدم قوله

{عَذَابٌ وَاصِبٌ} [الصافات: 9] و{شِهَابٌ ثَاقِبٌ} [الصافات: 10]، وكذا {بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ} [القمر: 11] مع قوله {قَدْ قُدِرَ} [القمر: 12]»(45).

وفي سورة القمر جاءت ألفاظُ الفواصل مختلفة من النّاحية الإعرابيّة، وفي الوقت نفسه أدّت وظيفة الأغراض المنوطة بها من حيث المعنى والقالب الإيقاعي الصّوتي، وفيما يأتي تَعدادٌ لكلّ نوع منها:

الكلمات المرفوعة بالضم (15 كلمة) وهي: القمرُ، مستمرٌّ، مُستقرٌّ، مُزدَجرٌ، النّذُرُ، منتشرٌ، عسِرٌ، أشرٌ، الأشرُ، مُحتضَرٌ، مستقرٌّ، النّذُرُ، منتصرٌ، وأمرُّ، مُستطَرٌ.

الكلمات المنصوبة بالفتح (7 كلمات) وهي: وازْدُجِرَ، قُدِرَ، كُفِرَ، فعَقَرَ، شكرَ، الدُّبُرَ، سقَرَ.

الكلمات المجرورة بالكسر (33 كلمة) وهي: نُكُرٍ، مُنهمِرٍ، دُسُرٍ، مُدّكرٍ، ونُذُرِ، مُدّكرٍ، ونُذُرِ، مستمرٍّ، منقعِرٍ، ونُذُرِ، مدّكرٍ، بالنّذُرِ، سُعُرٍ، ونُذُرِ، المُحتظِرِ، مُدَّكرٍ، بالنُّذُرِ، بسَحَرٍ، بالنُّذُرِ، ونُذُرِ، ونُذُرِ، مُدّكرٍ، مقتدِرٍ، الزّبُرِ، وسُعُرٍ، بقدَرٍ، بالبصر، مدّكرٍ، في الزّبُرِ، ونَهَرٍ، مقتدِرٍ.

الكلمات المجزومة بالسكون (كلمتان) وهي: فانتصرْ، واصطبِرْ.

وبالنّظر في مجموع الكلمات التي تنوّعت من حيث الحركةُ الإعرابيّةُ في الفواصل، يبدو التالي:

1 – الكلمات التي تنتهي براء مشدّدة كلّها جاءت في حالة الرّفع: مستمرٌّ، مستقرٌّ، أمرُّ.

2 – كلمةٌ واحدة جاءت فيها ثلاث ضمّات هي كلمة "النُّذُرُ" وذلك لثقل توالي الضّمّات ممّا يتطلّبُ عناية وجَهدًا في النّطق بها، وقد جاءت هذه الكلمة في سياق الحديث عن النُّذُر الموجّهة إلى آل فرعون، ولعلّ سرّ اختيارها يشيرُ إلى قوّة النّذُر وشدّة التّنبيهات الموجّهة إلى فرعون وقومه نظرًا لشدّة الكفر الذي اتّصفوا به.

3 – خمس كلمات من سَبعٍ وردت براء منصوبة بالفتح هي أفعالٌ، ثلاثٌ منها في صيغة المبنيّ للمجهول، واثنان في صيغة المبني للمعلوم، والفتحة من أخفّ الحركات، وفي هذا إشارةٌ إلى خفّة الفعل وسهولته على مرتكبه؛ فالازدجار والكفر سهلٌ صدورهما من المشركين المكذّبين في حقّ رسل الله، والتّقدير من الله تعالى سهلٌ وسريعٌ من الله تعالى الذي يقول للشّيء كن فيكون، وشقي قوم ثمود لم يفكّر لحظة ولم يتردّد عن فعلته القبيحة فقام بها بيسرٍ وسهولة: {فَتَعَاطَى فَعَقَرَ} [القمر: 29]، ومن هدى الله قلبه للإيمان، فإنّه يسهلُ عليه

شكرُ الله ويخفُّ عليه الإتيان بأنواع الطّاعات التي تقرّبه من الله تعالى {**كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَر**} [القمر:35].

4 – نرى أنّ معظم الكلمات التي توالت فيها ضمّتان جاءت الرّاء فيها مجرورة لإحداث التّوازن في النّطق بها؛ إذ لا يخفى أنّ توالي ضمّتين في كلمة قصيرة دون أن يتخلّل بينهما حرفُ مدّ ممّا يثقُلُ نُطقُهُ، فجاءت الكسرة في نهاية الكلمة للتّخفيف، وهذا ما يشعر به كلّ من ينطقُ بـ: نُكُرٍ، ودُسُرٍ، ونُذُرٍ، وسُعُرٍ، والزّبُرِ.

التكرارُفي الفواصل:

يقال التكرار أو التكرير، من الكَرّ، وهو الرجوع، وفي اللسان، «يقال: كَرَّه وكَرَّ بنفسه ، يتعدّى ولا يتعدّى ، والكَرُّ مصدر كَرَّ عليه يَكُرُّ كرًّا، والكَرُّ : الرجوع على الشيء ، ومنه التَّكْرارُ»(46)، والتكرار في الاصطلاح: تكرار كلمة أو جملة أكثر من مرة لمعاني متعددة كالتوكيد، والتهويل، والتعظيم، وغيرها. وهو عندهم أبلغ من التأكيد، يقول صاحب الاتقان «والتكرير أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة، خلافا لبعض من غلط»(47). ويقول القرطبي (ت: 671هـ) نقلا عن تفسير البغوي (ت: 516هـ): «قال أكثرُ أهل المعاني: نزل القرآن بلسان العرب، ومن مذاهبهم التَّكرار إرادةَ التأكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار إرادةَ التخفيف والايجاز، لأن خُروجَ الخطيب والمتكلّم من شيء إلى شيء، أولى من اقتصاره في المقام على شيء واحد»(48).

يلحظُ قارئ سورة القمر أنّ بعض الكلمات تكرّر ذكرُها في الفواصل، ولا ريبَ أنّ هذا التّكرار مقصودٌ في نصّ محكمٍ قال عنه منزّلُهُ: {**الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**} [هود:1]، والسّؤالُ الذي ينقدح في الذّهن: ما أغراضُ هذا التّكرار؟ وهل له علاقةٌ بالدَّلالة أو هو للزّينة اللفظيّة وإحداث التّناسب والانسجام في الإيقاع النّغَمي للسورة فقط؟ يقول الزمخشري (ت: 538هـ) : «فإن قلت ما فائدة تكرير قوله {**فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُر**} {**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِر**}؟ قلت فائدته أن يجدوا عند استماع كل نبئ من أنباء الأولين ادكارا واتعاظا، وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا، إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث عليه، وأن يقرع لهم العصا مرات، يقعقع لهم الشن(49) تارات؛ لئلا يغلبهم السهو ولا تستولي الغفلة، وهكذا حكم التكرير»(50).

وبالتّوقّف عند الفواصل التي تكرّر ذِكرُها، يجدُ القارئ أنّ تَكرارها يعكسُ ملامحَ وخطوطا واضحة تتّسِمُ بها السورة؛ فهي سورة الإنذار القويّ والوعيد الشّديد، وهذا ما

يعكسُهُ تكريرُ لفظ النّذر إحدى عشرة مرّة في مختلف حالاته الإعرابيّة. والمتدبّرُ في السورة من أوّلها يجدُ أنّها فعلا أنزِلَت مفعمةً بالإنذار والتّخويف للمخاطبين في عهد النّبوّة الذين أصرّوا على الشّرك والتّكذيب، وضُرِبَت لهم أمثالٌ كثيرة في هذه السورة وأخواتها المكّيّات بالأقوام السابقين الذين كذّبوا رسل الله وآذوْهُم وازدجروهم، وكانت النّتيجة أنْ عذّبهم الله المنتقمُ الجبّارُ في الدّنيا، وأنزل عليهم ألوانا من الرّجس والتّدمير.

الملمح الثّاني البارز الذي يُثبتُهُ إحصاء الفواصل المتكرّرة هو التّذكير والادّكار الذي يعكسه تكريرُ لفظ (مُدّكر) في الفواصل ستّ مرّات؛ فالسّورةُ محطّةٌ قرآنيةٌ بارزة في القرآن المكّيّ تدعو النّاس جميعا، وتدعو الكافرين المشركين الذين احترفوا تكذيب رسل الله إلى العودة إلى نداء الفطرة، والاستماع إلى الدّعاة إلى الله وإعمال الذّهن، وتُبيّنُ لهم أنّ العمليّة لا تحتاجُ إلى أكثر من التّذكّر الجادّ القويّ والاتّعاظ بالدّروس المضروبة للنّاس عبر التّاريخ؛ لأنّ الإيمان مغروسٌ في الفطرة الإنسانيّة ولا يحتاج الإنسان إلاّ إلى إعمال خاصّيّة التّذكّر فإذا بحقيقة التّوحيد ماثلةٌ بين عينيه، وإذا بالدّلائل على وجود الله خالقِ الكون وخالقِ جميع الكائنات واضحةٌ جليّة بين ناظريه.

ولا يخفى أنّ لفظ (مُدّكر) اسم فاعل من الفعل (ادّكر) المنحدر من (اذتَكرَ)، ووقع إبدال تاء الافتعال بالدّال المجانسة للذّال في الجهر، ثُمّ أُدغِمت الذّال في الدّال(51)، مُكوّنة لفظ (مُدَّكر) القويّ الشّديد في جرسه ومعناه، حيث إنّ هذه الشّدّة في النّطق بالكلمة تدعو النّاس جميعا إلى ضرورة بذل الجهد واستفراغ الوُسع في النّظر في خطّ سيرورة الأحداث ومصائر الأقوام الذين كفروا وكذّبوا رسل الله، وتدعو أيضا إلى إعمال الفكر بقوّة في آيات القرآن الكريم لأنّها جاءت بعد الحديث عن تيسير القرآن للذّكر أربع مرّات. أمّا الكلمات الأخرى التي جاء تكريرُ كلٍّ منها مرّتين، فإنّ ذلك يرجع إلى تأكيد حصول ذلك الفعل أو تلك الصّفة، فالذي أقْدَمَ على عقر النّاقة هو الكذّاب الأشر حقيقة لا مجازا، ومن يكون الكذّاب الأشر إن لم ينطبق هذا الوصفُ على عاقر النّاقة التي جعلها الله تعالى آيةً للنّاس؟

وتكريرُ لفظ (الزّبُر) يفيد أنّ الله تبارك وتعالى ما كان ليُعذّب الأقوام المكذّبين إلاّ بعد إرسال الرّسل وإنزال الزّبر عليهم تدعوهم إلى عقيدة التّوحيد، وتُخوّفهم من العذاب الأليم. والذين يرفضون هدايات الله المنزّلة على رسله، ويستهزئون بالرّسل ويبالغون في زجرهم وإيذائهم، هؤلاء لا يكون مصيرُهم إلى سَعير بل إلى سُعُرٍ، وهو جانب من أسرار تكرير فاصلة (سُعُر) في السورة الكريمة.

الجمل الفواصل اللّازمة:

الجملة الأولى: تتّسِمُ سورة القمر بجملتين تكرّر ذكرُهما كالفاصلتين اللازمتين. أولاهما قوله تعالى {فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ}؟ التي تكرّرت ستّ مرّات. هذه الجملة استفهامٌ فيه حثٌّ على التّذكّر وإيقاظٌ للضّمائر وتحريكٌ للوجدان إلى دراسة قصص الأقوام السّابقين والاتّعاظ بمصائرهم والعذاب الذي أُنزِل عليهم حين استمسكوا بالكفر وأصرّوا عليه. ومعنى الاستفهام: هل من مُتَّعظ؟ هل من مُعتبِرٍ بقصص السّابقين ومصائرهم؟ هل من دارسٍ مستيقظ يدرسُ التاريخ بتمعّنٍ واعتبار ويستخرج الدروس والعبر؟

والغرض من هذا الاستفهام التّحضيضُ(52) على التّذكّر بهذه الآية والاستيقاظ من غفلة الكفر وسَكرة الهوى. وهذه الجملة جيء بها في الموضع الأوّل في التّعليق على حادثة إغراق قوم نوح، وضرورة أخذ العبرة من مصيرهم، وإنجاء نوح والمؤمنين معه: {وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ} [القمر:15].

ثمّ جاء ذكرُها أربع مرّات بعد تقرير تيسير القرآن الكريم للتّذكير وأخذ العبرة: **{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ}** [القمر:17].

ثمّ جاء ذكرها قبيل نهاية السورة في توجيه الخطاب التّوبيخي للمشركين المكذّبين في عهد النّبوّة لزجرهم وتحريك نفوسهم: **{وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ}** [القمر:51].

وفي كل الأحوال، فإنّ هذه الجملة الاستفهاميّة وظّفها البيانُ القرآني لازمةً متكرّرة، أي فاصلة تفصلُ بين قصّة وقصّة، ويُعطي تكريرها نغما يهزُّ النّفوس، وإيقاعا متجانسا متناسقا يكون مصدرًا للذّة في الأذن ومُتعة في النّفس.

الجملة الثانية: الجملة الثانية التي جاء استعمالُها فاصلة لازمةً، وأعطى تكريرها انتظاما في إيقاع السورة العام هي قوله تعالى: **{فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ}** [القمر: 16]؛ حيث تكرّرت بلفظها أربع مرّات، وجاء تكرير جملة الأمر التّوبيخي **{فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ}** مرّتين. وهذه الفاصلة اللازمة أدّت وظيفة مهمة في تحريك النّفوس وإيقاظ الإيمان في الفِطَر والضّمائر، ومعناها العام التّهويل والاستعظام.

قال الألوسي (ت 1270هـ) في الموضع الأوّل من ورود هذا الاستفهام: «{فكيف كانَ عذابي ونُذُر} استفهامُ تعظيم وتَعجيب، أي: كانا على كيفيّة هائلة لا يُحيطُ بها الوصفُ»(53)، وقال في الموضع الثاني: «وقوله ـ تعالى ـ {**فكيف كان عذابي ونُذُر**} لتوجيه قلوب السّامعين نحو الإصغاء إلى ما يُلقى إليهم قبل ذكره، لا لتهويله وتعظيمه وتعجيبهم من

حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده، كأنّه قيل: كذّبت عادٌ فهل سمعتم؟ أو: فاسمعوا كيف عذابي وإنذاري لهم»(54).

علاوةً على الوظيفة المعنوية التي تُقدّمها هذه الجملة اللازمة، فهي تفصلُ بين كل قصّة وقصّة، كأنّها فاصلة صوتيّة يؤدّي تكريرها إلى بعث الهمم من جديد، وتحريك النّفوس للاتّعاظ والانزجار من الأحداث التي أجراها الله تعالى على الأقوام السابقين، ونعيد ما ذكره الزمخشري في هذا الباب، وقد استشهدنا به في التقديم لموضوع التكرير في السورة، فإنه إنما كرر هذه اللوازم بعد كل نبئ من أنباء الأولين ادكارا واتعاظا، وأن يستأنفوا تنبها واستيقاظا، وهكذا حكم التكرير(55).

فواصل سورة القمر من حيثُ أنواعها:

من حيث التّماثل: كل الفواصل في سورة القمر من صنف الفواصل المتماثلة إذ إنّها كلّها تنتهي بحرف الرّاء القويّ المكرّر المرتعد المجهور الذي سلف وصفه.

من حيث التّوازي الذي يُعنى به التّساوي في الوزن والحرف الأخير، فإنّ الفواصل المتوازية في السورة كثيرة بل تكادُ تطغى على الإيقاع العام للفاصلة فيها. من ذلك:

انشقَّ القمرُ، مَنْ شكرَ، بالبصر،

مسَّ سقَرَ، فعَقَرَ، بسَحَرٍ، ونهَرٍ، بقدَرٍ، وأمَرّ،

مستمِرٌّ، مُستقِرٌّ، مستقِرٌّ، مستمِرٍّ،

مُزدَجرٌ، مُحتضَرٌ، مُستطَرٌ،

منتشِرٌ، منتصِرٌ، منهمِرٍ، مُدّكرٍ، مُدّكرٍ، منقعِرٍ، مدّكرٍ، المُحتظِرِ، مُدَّكرٍ، مُدّكرٍ، مقتدِرٍ، مدّكرٍ، مقتدِرٍ.

عَسِرٌ، أشرٌ، الأشرُ،

وازْدُجِرَ، قدْ قُدِرَ، كانَ كُفِرَ،

النّذُرُ، النّذُرُ، الدُّبُر، بالنُّذُرِ، بالنُّذُرِ، بالنُّذُر، الزّبُرِ، في الزّبُرِ،

نُكُرٍ، دُسُرٍ، ونُذُرِ، ونُذُرِ، ونُذُر، سُعُرٍ، ونُذُرِ، ونُذُرِ، ونُذُرِ، وسُعُرٍ،

فانتصرْ، واصطبِرْ.

الفواصل وتمكين المعنى:

الدّافعُ إلى كتابة هذه الفقرة أنّني لم أجد في الدّراسات السابقة شيئا يُعتدُّ به في هذا الجانب حيث إنّ أغلب الذين قرأت لهم . على الأقلّ . يسارعون إلى القول . مثلا : بأنّ لفظ

(نَهَر) جيء به في حالة الإفراد مع فتح الهاء لرعاية الفاصلة، وكذلك قُدّمَ المفعول وهو {آلَ فرعون} وأُخِّر الفاعل (النّذُرُ) لرعاية الفاصلة، وهذا كلامٌ لا يليق أن ننسبه إلى كلام الله المعجز البليغ الذي أنزله الله ـ تعالى ـ محكما في صوغٍ بديعٍ يفوق جميع الفصاحات، ويتربّعُ على كل عرش البلاغات، وهنا شيء من التفصيل في هذا الشأن، مستعينا بالله، فإن أصبت فهو من توفيق الله، وأسأل الله أجر الاجتهاد.

إفراد لفظ نَهر: في قوله تعالى: {**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ**} [القمر:54]، نلحظ أنّ لفظ (نَهَر) جاء في صيغة الإفراد، وهو الموضع الوحيد في القرآن كلّه؛ حيث إنّ الغالب في لغة القرآن الإتيان بلفظ الأنهار في حالة الجمع. وقد تعدّدت أقوال المفسّرين في تعليل هذا العدول من الجمع إلى الإفراد؛ فقد ذهب جمهورهم إلى أنّ ما جاء عليه النّظمُ الجليل سببه رعاية الفاصلة(56)، وعند التّدبّر في الآية الكريمة، يجد الباحث أنّ ثمّة أكثر من سببٍ سوّغ الإتيان بلفظ (نَهَر) بصيغة الإفراد:

1 – لفظ (نَهَر) لا يُقصَدُ به الإفراد فقط، وإنّما هو اسمُ جنس(57)، واسمُ الجنس في العربيّة يدلُّ على الجمع(58)، وهو أدلُّ على جمع الأنهار من لفظ (الأنهار)، وهذا معهود في لسان العرب وبه أنزل الله القرآن، ومنه قوله تعالى: {**وَالْعَصْرِ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ**} [العصر: 1-2]؛ فإنّ لفظ (الإنسان) في هذا السياق يدلّ على جنس الإنسان، أي: يدخل تحته كلّ أفراد الجنس البشري، والدّليل على ذلك استثناء الذين آمنوا من اسم الجنس: {**إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**} [العصر: 3]، والمستثنى يكون دائما جزءا من المستثنى منه، وهذه مسألة عقليّة لا مراء فيها.

قال ابن جرير الطّبري (ت: 310هـ) : «إنّ الذين اتّقوا عقابَ الله بطاعته وأداء فرائضه واجتناب معاصيه في بساتينَ يوم القيامة وأنهار، ووحّدَ (النّهَر) في اللّفظ ومعناه الجمع كما وحّدَ (الدُّبُر)، ومعناه الأدبار»(59). وإلى هذا التّفسير ذهب جمهور المفسرين بعد الطّبري.

أمّا من حيث فتح الهاء في (نَهَر) فذلك لغةٌ في (نَهْر)، وبه قال المعجميّون. جاء في تاج العروس(60): «النَّهْرُ بالفتح، ويُحرَّكُ مجرى الماء».

2 - ثمّة من ذهب إلى أنّ لفظ (نَهَر) يرادُ به السّعة، أي أنّ المتّقين يكونون يوم القيامة في سعة، وعزوا هذا القول إلى الفرّاء(61). والسعة ههنا عامة تشمل سعة المنازل وسعة الرزق والمعيشة، وكل ما يقتضي تمام السّعادة. جاء في (البحر المحيط): «ونهَر: وسعة في الأرزاق والمنازل»(62).

3 - من معاني (النَّهَر) أيضاً الضياء. جاء في (اللسان): «وأما قوله عز وجل {**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ**}، فقد يجوز أن يعني به السَّعة والضّياء، وأن يعني به النَّهْر الذي هو مجرى الماء، على وضع الواحد موضع الجميع، وقيل في قوله: (جنات ونهر) أي: في ضياء وسعة، لأنَّ الجنة ليس فيها ليل، إنما هو نور يتلألأ»(63). «وهذه المعاني كلها مرادة مطلوبة، فإنَّ المتقين في جنّات وأنهار كثيرة جارية، وفي سعة من العيش والرّزق والسّكن وعموم ما يقتضي السّعة، وفي ضياء ونور يتلألأ ليس عندهم ليل ولا ظلمة»(64).

ممّا سبق يتّضح بجلاء أنّ لفظ (نَهَر) جاء يحملُ عددا من المعاني والدّلالات في الموضع الذي ورد فيه، وفي الوقت نفسه جاء متناغما متناسقا مع فواصل سورة القمر التي بُنيَت على الرّاء، وكثُرَ فيها وزن (فَعَل) و(فُعُل)؛ لذلك لا ينبغي أن يسارع الباحث إلى إطلاق أنّ مجيء لفظ (نَهَر) في صيغة الإفراد هو فقط للرّعاية على الفاصلة(65).

إفراد لفظ مُنْتَصِر: يقول الله ـ تعالى ـ {**أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنتَصِر**}[القمر:44]، وفي موقع آخر من القرآن يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ {**وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُون**} [الشعراء:56]، ويقول : {**وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُون**} [يس:32]، ولم يستبدل الجمع بالإفراد في سورة القمر مراعاة للفاصلة فحسب، وإنما المعنى مرعي، يقول الزركشي: «وقد يقع الإخبار بلفظ المفرد عن لفظ الجمع، وإن أريد معناه، لنكتة، كقوله ـ تعالى ـ {**أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنتَصِر**} فإن سبب النزول هو قول أبي جهل: (نحن ننتصر اليوم) يقضي بإعراب (منتصر) خبرا»(66)، فكأنما جاء بها على ما حكى أبو جهل، وقد أوّل بعضهم كلمة (جميع) جماعةٌ أمرنا مجتمع فيكون منتصر مناسب من الناحية التركيبية، قال به صاحب الكشاف(67)، وقد يكون أراد بها (نحن جمع منتصر) ويدل عليه قوله في الآية التالية: {**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُر**}[القمر:45]، قال البقاعي (ت: 885 هـ): «نحن جميع: أي جمع واحد مبالغ في اجتماعه فهو في الغاية من الضم فلا افتراق له (منتصر) أي على كل من يناويه لأنهم على قلب رجل واحد، فالإفراد للفظ (جميع) ولإفهام هذا المعنى، أو أن كل واحد محكوم له بالانتصار»(68)، ومن هذا الباب كلمة (الدُبر) التي جاءت عوضا عن الأدبار، وقد فصلنا في هذا شأن هذا العدول في مبحث توالي الضمات.

تأخير الفاعل (النُّذُر): قال تعالى: {**وَلَقَدْ جَاء آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُر**} [القمر: 41]. يلحظ القارئ أنّ لفظ (النّذرُ) وهو الفاعل في المعنى جاء تأخيره عن المفعول (آلَ فرعون)، ومن السّهل أن يقول أيّ واحد: إنّ هذا التأخير سببه رعاية الفاصلة، كما قال الزركشي في

البرهان(69)، والأصل أنّ كلمة الفاصلة تكون متمكّنة في موضعها يُؤتى بها لخدمة المعنى أوّلا؛ لأنّ الدّلالة هي المرعيّة في النّظم القرآني ولها الاعتبار الأوّل، ثمّ تتوافق وتنسجم مع الفواصل وهذا التّوافق يكون في الدّرجة الثانية.

ولفظ (النّذُر) يحتملُ أن يكون جمعًا لنذير، وأطلِق الجمع على موسى وهارون عليهما السلام، وهذا من معهود كلام العرب أن يُطلَقَ الجمع على الاثنين، ويحتمل أن يراد بـ (النّذُر) الإنذارات الكثيرة التي وجّهها الله تعالى إلى فرعون وآله المستكبرين الكافرين، ويحتمل أن يكون المراد الآيات التّسع التي أيّد الله ـ تعالى ـ بها نبيّه موسى ـ عليه السلام ـ، والذي يُسَوِّغُ هذا الفهم قوله ـ تعالى ـ بعد ذلك في جملة استئنافيّة {**كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا**} [القمر: 42].

وجريا على عبارة سيبويه الشهيرة: «كأنّهم يُقدّمون الذي بيانُهُ أهمُّ لهم، وهُمْ ببيانه أعنى»(70) فإنّ تقديم التركيب الإضافي {آلَ فرعون} على الفاعل، توجيه أنّ التّركيز على آل فرعون الذين كانوا يتّصفون بالغطرسة والاستكبار والعلُوّ، كأنّ البيان القرآني يشير إلى أنّ فرعون وآله الذين كانوا قمّة في الكفر والعلُوّ والإفساد والطّغيان قد أرسل إليهم الله النّذُر الكثيرة، وخوّفهم وشدّد في الإنكار عليهم. كما أن (آل فرعون) هم الأعنى في بيان أن العذاب وقع عليهم، وذلك تخويفا لكفار قريش، وهو مقصد تعاقب ذكر أصناف عذاب الأقوام السابقة التي عذبها الله، إلى أن قال: {**أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُر**} [القمر:43]، وليس يُفهَمُ شيءٌ من هذا لو جاء الفاعل في محلّه والمفعول في موضعه من الجملة.

صيغة (فُعُل) بدل فعيل أو مُفعَل: قال تعالى: {**يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُر**} [القمر:6]. أي: يوم يدعو الدّاعي إلى «أمرٍ فظيعٍ يُنكرونه استعظاما له لعدم تقدّم العهد لهم بمثله، وهو هولُ يوم القيامة»(71).

قال ابن عاشور: «وصف شيء بأنّه (نُكُر)، أي: موصوفٌ بأنّه تنكره النفوس وتكرهه. والنُّكُر بضمّتين: صفة، وهذا الوزن قليل في الصفات، ومنه قولهم: روضة أُنُف، أي جديدة لم تَرْعها الماشية، ورجل شُلُل، أي خفيف سريع في الحاجات، ورجل سُجُح بجيم قبل الحاء، أي سمح، وناقة أُجُد: قويّة موثقة فَقار الظهر»(72).

من هذا الشّرح لابن عاشور للفظ (نُكُر) يتبيّن أنّ هذه الصّفة قليلة الاستعمال، ونظرا لغرابة وفظاعة الهول الذي يُدعى إليه الكافرون يوم القيامة، فقد جيء بلفظ (نُكُر) الغريب النّادر الاستعمال لهذا المعنى، وهو أيضا وزن ثقيل نظرا لتوالي الضّمّتين يدلُّ بثقله

على ثقل ذلك اليوم وهوله وصعوبته عليهم، وعدم تقدم العهد به، خاصة أن «الداعي إليه هو أحد الملكين في أقوال العلماء (إسرافيل) أو (جبريل)، والأول أولى»(73).

وقد فصلنا في هذا الشأن حينما أوردنا كلمة (نُكُر) في محور الحديث عن توالي الضمات.

التّعبير بالفعل بدل اسم المفعول: قال جلّ شأنه: {**فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِر**} [القمر: 12]. والمعنى: فالتقى ماء السّماء بماء الأرض على أمر قد قدّره الله تعالى في الأزل لإهلاك قوم نوح الظالمين(74). والملاحظ أنّ جملة {قدْ قُدِرَ} يؤدّي معناها اسمُ المفعول (مُقَدَّر)، ولكن لم يقل جلّ شأنه: فالتقى الماء على أمر مُقَدّر، على الرّغم من أنّ (مُقَدَّر) أيضا كلمة تنتهي بالرّاء، ووجهُ ذلك أنّ جملة {قدْ قُدِرَ} تفيد المعنى نفسه الذي يفيده اسم المفعول، وتزيد عليه بالتأكيد الذي تُصرّحُ به (قدْ) التي تفيد التّحقيق، ولا تأتي قد مع اسم المفعول.

من ناحية أخرى، الفعلُ المبني لما لم يُسَمَّ فاعلُهُ في جملة {قد قُدِرَ} أكثرُ توافُقًا وانسجاما مع إخوته في فواصل السورة قد قُدِر/ جزاء لمن كان كُفِر/ وازدُجرِ من اسم المفعول (مُقدّر).

هذه الأمثلة، وغيرها كثير، حاولت من خلالها إثبات القاعدة القرآنيّة الواضحة التي يردّدُها كثيرٌ من الدّارسين لعلوم القرآن الكريم التي مُفادُها أنّ الفواصل بلاغة وحكمة، وأنّها تخدم المعنى قبل أن تزيّن الجانب اللفظي، ولكن عند التّطبيق يكتفي كثير منهم بالقول: قد اختير اللفظ الفلاني لرعاية الفاصلة وتماشيا مع النظام الإيقاعي العام للسورة.

وقد كانت هذه جولةً مقتضبةً مع جملة فواصل سورة القمر، حاولت أن أقف عند الظّواهر الصّوتيّة البارزة فيها، موضحا أثر هذه الفواصل ومشاركتها في بناء الإيقاع العام للسورة.

الخـاتمـة:

دراسةُ الإيقاع الصّوتي في سورة القمر ممتعٌ وشائق، ومظاهرُ هذا الإيقاع متنوّعة ومتعدّدة، حاولتُ من خلال هذا البحث المختصر . الذي أنوي التوسع فيه ليناسب رسالة الماجستير . حاولت أن أقف على أهمّها موضحا بعض دلالاتها وآثارها في المعاني المرادة، والنّسيج العام للسّورة، ويمكن تلخيص ما ظفرت به من أمّهات المسائل فيما يأتي:

1 – تتميّزُ سورة القمر بإيقاع قويّ شديد سريع يتناسبُ مع جوّها العام المبني على بيان عُتُوّ الأقوام المكذّبين وإصرارهم على الشّرك والتّكذيب، وبيان أنواع العذاب الشّديد الذي أنزله الله تعالى بهم.

2 – يتميّزُ النّسيج اللفظيّ العام بقِصر العبارة ووَجازتها وهو ما يتماشى مع الموضوع المعالج أيضا.

3 – الحضور المكثَّف لحرف الرّاء الذي بُنِيَت عليه فواصلُ السورة كلّها، والكلمات الكثيرة التي جاء حرف الرّاء مكوّنا من مكوّناتها.

4 – غلبةُ المقاطع الصّوتيّة القصيرة: المكوّنة من صامت فمتحرّك، أو صامت فحرف مشدّد، أو تتابع حرفين أو ثلاثة أحرف مكوّنة من مقاطع قصيرة من بداية السورة إلى نهايتها، وهذا ما أعطى النسيج اللفظي للسورة السرعة والحيويّة والشّدّة.

4 – الحضور الواضح لحرف السّين الصّفيري المهموس الذي شارك حرف الرّاء في تلوين السّورة بطابع خاصّ تتفرّدُ به عن أخواتها من السور المكيّة والمدنيّة.

5 - شاركت عناصرُ كثيرة في تشكيل الإيقاع الصّوتي النّغَمي العام لسورة القمر، أهمّ هذه العناصر: حرف الرّاء، قِصَرُ الكلمات على وزن (فُعُل) و(فَعَل) و(فَعِل) دون أن تتخلّلها المدود، وقِصَرُ العبارات، وتماثل الفواصل.

6 – الحضور الواضح لصيغة الافتعال التي تدلّ على المطاوعة والاتّخاذ والتّصرّف وقوّة أداء الفعل.

7 – تميّزت السّورة بالجمال الاستفهاميّة المتكرّرة {فهل من مدّكر} و{فكيف كان عذابي ونذر} التي رسمت جوًّا خاصا من الحيويّة والانفعال والاهتزاز لدى القارئ والمتلقّي.

مراجع البحث وإحالاته:

---

(1) أبو عبيد، القاسم بن سلام، فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، ت: أحمد بن عبدالواحد الخياطي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ج1، ص261.

(2) السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن، الإتقان في علوم القرآن، ت: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط7، 2019م، ص86.

(3) البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ت: عبدالسميع محمد أحمد حسين، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1987م، ج3، ص40.

(4) الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، الجامع الكبير، ت: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1996م، ج1 ص538.

(5) السيوطي، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج14، ص63.

(6) مسلم، د. مصطفى وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، جامعة الشارقة، ط1، 2010م، ج7، ص512.

(7) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 1982م، ج4، ص183.

(8) نفسه، ج4، ص184.

(9) نفسه، ج4، ص185.

(10) انظر: الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، ت: د. عبدالجليل شلبي، دار الحديث، القاهرة، 2004م، ج3، ص223-224.

(11) انظر: القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، ت: حاتم الضامن، دار البشائر، دمشق، ط1، 2003م، ج2، ص238.

(12) الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، ت: محمد علي النجار وأحمد النجاتي، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983م، ج1، ص439.

(13) انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان، ت: د. عبدالله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط1، 2001م، ج24، ص358.

(14) الأهوازي، أبو علي الحسن بن علي القرئ، الوجيز في شرح قراءات القرأة الثمانية من الأمصار الخمسة، ت: د. دريد حسن، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م، ص121.

(15) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبدالله، البرهان في علوم القرآن، ت: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الفكر، بيروت، ط1، 1988م، ج1، ص478.

(16) انظر: الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبدالرحمن، الإيضاح في علوم البلاغة، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، ص293.

(17) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص478.

(18) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج4، ص436.

(19) أبو السعود، محمد بن عبدالله العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج8، ص 170.

(20) أبو حيّان، البحر المحيط، ت: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1993م، ج8، ص 176.

(21) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج4، ص433.

(22) أبو حيان، البحر المحيط، ج8، ص 173.

(23) الزمخشري، الكشاف، ج4، ص433.

(24) البيضاوي، أنوار التّنزيل، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، د ت، ج5، ص 166.

(25) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص139.

(26) حسين، د. مجدي محمد، الفاصلة القرآنية والضرورة، رؤية للنشر، القاهرة، ط1، 2018م، ص77.

(27) انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (دسر).

(28) نفسه، مادة (زبر).

(29) انظر: المصدر السابق، مادة (دبر).

(30) انظر: المصدر السابق، مادة (أشر).

(31) الزمخشري، الكشاف، ج4، ص435.

(32) أبو حيان، البحر المحيط، ج 8، ص 167.

(33) القنوجي، صديق بن حسن بن الحسين، فتح البيان في مقاصد القرآن، ت: عبدالله الأنصاري، ج13، ص 296.

(34) الرضي الأستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، ت: محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلميّة، بيروت، د ت ج1، ص 108.

(35) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج3 ص38.

(36) الرضي الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، ج1، ص 108.

(37) الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ت: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط4، 2009م، ص845.

(38) أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ج8، ص 169.

(39) انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة (قعر).

(40) النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، إعراب القرآن، ت: خالد العلي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2008م، ص1063.

(41) زاده، محمد بن مصلح الدين القوجوي الحنفي، حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي، ت: محمد عبدالقادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999م، ج8، ص42.

(42) الطويل، أحمد بن أحمد بن محمد، فن الترتيل وعلومه، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1999م، ج1، ص 589.

(43) سيبويه، الكتاب، ج4، ص435.

(44) انظر: ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، ت: حسن هنداوي، دار القلم، بيروت، 1985م، ج1، ص 63.

(45) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص99.

(46) ابن منظور، لسان العرب، مادة (كرّ).

(47) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ص407.

(48) القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، ت: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2006م، ج22، ص535، انظر: البغوي، أبومحمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، ت: محمد النمر وآخرون، دار طيبة، الرياض، 1412هـ، ج8، ص564.

(49) الشن: القربة الخلق أي البالية.

(50) الزمخشري، الكشاف، ج4، ص439.

(51) انظر: إبراهيم، عبدالعليم، تيسير الإعلال والإبدال، مكتبة غريب، القاهرة، ص95.

(52) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج27، ص 187.

(53) الألوسي، محمود بن عبدالله البغدادي، روح المعاني، ت: عمار بكور وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2010م، ج26، ص199.

(54) نفسه، ج 26، ص200.

(55) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج4، ص439.

(56) انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص94.

(57) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج4، ص441.

(58) انظر: النيسابوري، محمود بن أبي الحسن بن الحسين الغزنوي، وضح البرهان في مشكلات القرآن، ت: صفوان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1990م، ج2، ص354.

(59) الطبري، جامع البيان، ج22، ص167-166.

(60) الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: د. نواف الجراح، دار صادر، بيروت، ط1، 2011م، مادة (نهر).

(61) انظر: الطبري، جامع البيان، ج22، ص167.

(62) أبو حيان، البحر المحيط، ج 8، ص 182.

(63) ابن منظور، لسان العرب، مادة (نهر).

(64) السامرائي، د. فاضل صالح، لمسات بيانية، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 2015م، ص199.

(65) انظر: حسين، د. مجدي محمد، الفاصلة القرآنية والضرورة، ص73.

(66) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج2، ص303.

(67) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج4، ص439.

(68) البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر بن حسن، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج19، ص130.

(69) انظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص93.

(70) سيبويه، الكتاب، ج 1، ص34.

(71) القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج 13، ص 290.

(72) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج27، ص177.

(73) القنوجي، فتح البيان في مقاصد القرآن، ج13، ص 290.

(74) انظر: الزمخشري، الكشاف، ج4، ص434.

المصادروالمراجع:

1. القرآن الكريم برواية (حفص).

2. الألوسي، محمود بن عبد الله البغدادي، روح المعاني، ت: عمار بكور وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2010م.

3. إبراهيم، عبد العليم، تيسير الإعلال والإبدال، مكتبة غريب، القاهرة.

4. إسماعيل، د. عزالدين، الأسس الجماليّة في النّقد العربي، دار الفكر، (د. ط) القاهرة، 1968م.

5.الأهوازي، أبو علي الحسن بن علي القرئ، الوجيز في شرح قراءات القرأة الثمانية من الأمصار الخمسة، ت: د. دريد حسن، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م.

6.الباقلاني، إعجاز القرآن، ت: محمود محمد مزروعة، دار كنوز المعرفة، جدة، 2006م.

7.البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، دار الفكر، بيروت.

8.بطاهر، د. بن عيسى، الأسلوبية والبلاغة العلاقة والإجراء، جامعة الشارقة، ط1، 2014م.

9.البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، معالم التنزيل، ت: محمد النمر وآخرون، دار طيبة، الرياض، 1412هـ

10.البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، ت: عبد السميع محمد أحمد حسين، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1987م.

11.ــــ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، الكتاب الإسلامي، القاهرة.

12.البيضاوي، أنوار التّنزيل، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1.

13.توفيق الزّيدي، أثر اللسانيات في النّقد العربي الحديث، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م.

14.الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، دلائل الإعجاز، علق عليه: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة.

15.ابن جنّي، سرّ صناعة الإعراب، ت: حسن هنداوي، دار القلم، بيروت، 1405 هـ/ 1985م.

16.حسين، د. مجدي محمد، الفاصلة القرآنية والضرورة، رؤية للنشر، القاهرة، ط1، 2018م.

17.أبو حيان، البحر المحيط، ت: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2001م.

18.الخطّابي، أبو سليمان حمد بن محمد، وآخرون، بيان إعجاز القرآن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ت: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط 4، 1974م.

19.الخطيب الإسكافي، درّة التّنزيل وغرّة التأويل، المكتبة الوقفيّة، القاهرة.

20.الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر، الإيضاح في علوم البلاغة، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م.

21.ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، ت: د. علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، ط7، 2014م.

22.الراغب الاصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، ت: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط4، 2009م.

23.الرضيّ الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب، ت: محمد نور الحسن وآخرون، دار الكتب العلميّة، بيروت.

24. الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى، وآخرون، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ت: محمد خلف الله ود. محمد زغلول، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1976م.

25. زاده، محمد بن مصلح الدين القوجوي الحنفي، حاشية محي الدين شيخ زاده على تفسير البيضاوي، ت: محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999م.

26. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: د. نواف الجراح، دار صادر، بيروت، ط1، 2011م.

27. ابن الزبير الغرناطي، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم، البرهان في ترتيب سور القرآن، ت: محمد العزازي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2019م.

28. الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري، معاني القرآن وإعرابه، ت: د. عبد الجليل شلبي، دار الحديث، القاهرة، 2004م.

29. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الفكر، بيروت، ط1، 1988م.

30. الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، أساس البلاغة، شرح: د. محمد طريفي، دار صادر، بيروت، 2019م.

31. ـ الكشاف، ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث، بيروت، ط2، 2001م.

32. الزيات، أحمد حسن، دفاع عن البلاغة، مطبعة الرسالة، 1945م.

33. السامرائي، د. فاضل صالح، لمسات بيانية، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 2015م.

34. السخاوي، أبو الحسن علم الدين علي بن محمد، جمال القراء وكمال الإقراء، ت: مروان العطية، محسن خرابة، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1997م.

35. أبو السعود، محمد بن عبد الله العمادي، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

36. السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار، تفسير القرآن، ت: غنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، ط1، 1997م.

37. ابن سنان الخفاجي، سرّ الفصاحة، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط 1، 1982م.

38. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان، الكتاب، ت: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط2، 1982م.

39. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، ت: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط7.

40. ـــ، تناسق الدرر في تناسب السور، ت: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

41. ـــ، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، هجر للدراسات والبحوث العربية والإسلامية، المهندسين، ط1، 2003م.

42. ـــ، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ت: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988م.

43. الشايب، أحمد، الأسلوب، دار النهضة المصرية، القاهرة، ط8.

44. الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان، ت: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، ط1، 2001م.

45. الطويل، أحمد بن أحمد بن محمد، فن الترتيل وعلومه، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، 1999م.

46. ابن عاشور، محمد الطاهر، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، 1984م.

47. العاكوب، د. عيسى علي، المفصل في علوم البلاغة العربية، دار القلم، دبي، ط1، 1996.

48. عبد الرزّاق بن همّام الصّنعاني، تفسير عبد الرّزّاق، ت: محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1999م.

49. عبد المطلب، د. محمد، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان، بيروت، الشركة المصرية العالمية، القاهرة، ط1، 1994.

50. أبو عبيد، القاسم بن سلام، فضائل القرآن ومعالمه وآدابه، تحقيق: أحمد بن عبد الواحد الخياطي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.

51. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.

52. عمر، د. أحمد مختار، معجم العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008م.

53. عياد، شكري محمد، مدخل إلى علم الأسلوب، دار المشروع للطباعة والنشر، ط2.

54. العياشي، محمد، نظرية إيقاع الشعر العربي، المطبعة العصريّة، تونس، د ط. 1967م.

55. غنيمي، د. محمد غنيمي هلال، النّقد الأدبي الحديث، نهضة مصر الحديثة، القاهرة، 1997م.

56.الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، معاني القرآن، ت: محمد علي النجار وأحمد النجاتي، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1983م.

57.القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1.

58.القنوجي، صديق بن حسن بن علي الحسين، فتح البيان في مقاصد القرآن، ت: عبد الله الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت، 1992م.

59.القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب، مشكل إعراب القرآن، ت: حاتم الضامن، دار البشائر، دمشق، ط1، 2003م.

60.المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد، البلاغة، ت: د. رمضان عبد التواب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط2، 1985م.

61.المسدي، د. عبد السلام، الأسلوبية والأسلوب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط5.

62.مسلم، د. مصطفى وآخرون، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، جامعة الشارقة، ط1، 2010م.

63.مصطفى، د. فائق مصطفى، وعبد الرضا علي، في النقد الأدبي الحديث، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل.

64.ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت.

65.النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، إعراب القرآن، ت: خالد العلي، دار المعرفة، بيروت، ط2، 2008م.

66.النيسابوري، محمود بن أبي الحسن بن الحسين الغزنوي، وضح البرهان في مشكلات القرآن، ت: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1990م.